جامعة الإمارات العربية المتحدة



منطلق الشباب الإسلامي

في مطلع قرن جديد



إهــداء
جمعية الشريعة والقانون
١٩٩٣م

سلسلة
حقائق الإسلام



المقدمة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

وبعد: ومن ضمن الكتب الثقافية التى تحرص جمعية الشريعة والقانون على اصدارها مساهمة فى تحقيق الوعي لدى الشباب المسلم، وزيادة في التحصين الثقافي، ورقياً فى بناء الشخصية المسلمة، التى فقدت كثيراً من صوابها ومنهجيتها، وانحرفت عن اداء رسالتها الخالدة.

ولهذا ونحن نقدم كتاب «منطلق شباب الاسلام فى مطلع قرن جديد» نريد ان نبين انه من اخطر الامور على الساحة المجتمعية اليوم، هي غياب القدوة الفعالة، وافتقاد القيادة القادرة على ترشيد الشباب ومحل وادراك حاجته واغتنام تضحياته فى مصلحة الاسلام والمسلم.

ونحن لا زلنا نقول، ان إيجاد المحاضن ومواقع النشاط المتعددة يحول دون انحراف الشباب المتولد من فراغ عن الاهداف.. والشباب قوة دفاقة متطلعة نحو المستقبل وهى ان لم تجد من يرعاها ويوجهها نحو البناء الايجابي فانها تعمل فى هدم قيم المجتمع... هذا ان لم يستغلها اعداء الله فى غاياتهم الدنيئة.

ان الشباب اذا فقد الهدف والانتماء تحول الى طاقات متناثرة تبدد وتستهلك فى غير مواقعها الصحيحة، وقد ينتهي الى الفراق والحيرة والضياع.

ولا ريب ان حركات التغيير فى التاريخ صوبت اهدافها نحو الشباب لتجعل منه الوسيلة والمادة ومحل الحركة والفكرة والتضحية... و الشباب منظور على ان يستهوية كل جديد وغريب ومن هنا لا بد من ان يعتقد الشباب انه لا ريب من عيش الحقيقة المرة. ونستشعر التحدى الذى يشحذ همته ويدرب على استخلاص العبر والدروس حتى ينطلق انطلاقه متميزه إلى الأمام وفى سبيل رفعة امته ومجتمعه.

الهيئة الادارية لجمعية الشريعة والقانون/ طلاب
بدولة الامارات العربية المتحدة .

اجلس بنا نؤمن ساعة

لن ينفك الداعية المؤمن بين جذبين :

جذب إيمانه ، ونيته ، وهمته ، ووعيه ، وشعوره بمسؤوليته ، فهو من ذلك في عمل صالح ، أو عزمة خير .

وجذب الشيطان من جهة أخرى ، وتزيينه الفتور ، وحب الدنيا ، فهو من ذلك في غفلة وكسل ، وطول أمل ، وتراخٍ عن تعلم ما يجهل .

وهذا التردد بين الجذبين أزلي قديم لا ينقطع ، وبسببه أوجب المؤمنون على أنفسهم جلسات تفكر وتأمل وتناصح ، يتفقدون فيها النفس أن يطرأ عليها كبر أو بطر ، والقلب أن يعتوره ميل ، والعلم والإيمان أن يتلبسا بافراط يزيد بدعة ، أو تفريط يهمل أمراً وإرشاداً .

وقد ترجم معاذ بن جبل رضي الله عنه هذا الإحساس بكلمة غدت مادة في دستور أجيال المؤمنين ، فقال لصاحبه وهو يذكره : (اجلس بنا نؤمن ساعة) .

فأخذها ابن رواحه ، فقال لابي الدرداء ؛ رضي الله عنهما ، وهو آخذ بيده : (تعال نؤمن ساعة ، ان القلب اسرع تقلباً من القِدر اذا استجمعت غليانا) .

فأخذناها عنهما ، فكانت هذه المواعظ ندعو معها المسلم ان يجلس مع كل موعظة ساعة ، يؤمن ويراجع نفسه ، وعلمه ، وهمته .

● بقية ... وأمل

وهكذا وضعت هذه المواعظ لتخاطب المصلّين المعتـزين بدينهـم ، المتحلـين بأخلاق المؤمنين ، دون الغافلين، فضلا عن المنحرفين .

ذلك أنّ العالم الاسلامي اليوم لا يحتاج لحل مشكلته إلى انتقال جمهور جديد من المنحرفين والغافلين إلى التمسك بالإسلام ، بمقدار ما هو بحاجة سريعة إلى توعية المتمسكين به ، وبعث هممهم ، وتعريفهم طريق العمل . ولا تزال هناك بقية باقية من المؤمنين كثير عددها ، تكفي لقيام الخير الذي نبغي ونريد ، إذا عرفت التجرد ، وتقللّت من الدنيا ، وبعدت عن الفتن ، وصبرت في المحن ، واجادت فن قيادة الأمة .

ولهذا ، فان هذه المواعظ سوف لا تحاور المخلّطين الذين يجمعون مع الإسلام غيره ، بل اقتصرت على مخاطبة مسلم ، صادق الإيمان . نقي العقيدة . يتألم لواقع المسلمين الحاضر ويحزن ، فتدله على طريق العمل المثمر وسبل الخلاص ، وما يلزمه من الارتقاء بتربية نفسه الى مستوى متطلبات هذا الطريق . أو تخاطب مواعظنا داعية عرف طريق العمل ، لكنه بحاجـة إلى تثبيت ، وزيادة بذل ، وترقيق القلب .

● كلمة الحق الخالدة

وهكذا قدمنا كل معنى حسن أشار اليه يحيى بن معاذ الزاهد لمّا قال :

(أحسن شيء : كلام رقيق ، يستخرج من بحر عميق ، على لسان رجـل رفيق) .

وستعلم كم من الرفق كانت تحمله قلوب هؤلاء الرجال الذين أهدوا لك ثمرات تجاربهم ونتائج تأملاتهم ، فخلدت كلماتهم وسرت في الناس ، معلنة عما لها من الاتصال بسند الحق .

(ولن تخلد الكلمة على الأجيال الا ان اتصلت بالحق والخير ، وكان لها من

قوانين الله في خلقه سند ، ومن الهامه لعباده مدد .

ورب بارقة يرمي بها سلطان مسلط ، او صنم مشهور ، فتدوي حينا ، وتأتلق زماناً ، ثم تصمت وتنطفيء ، وتكون كالشهاب يحور رمادا بعد التهاب ، بما كان دويها من صوت الباطل لا الحق ، وإئتلاقها من زخرف الكذب لا الصدق .

ولا ينطق بكلمة الحق الخالدة الا عقل مدرك ، وقلب سليم . الا قائل يعتد بنفسه ويثق برأيه ، فيرسل الكلام أمثالا سائرة ، وبينات في الحياة باقية ، لا يصف وقتاً محدودا ، ولا أمراً موقوتا ، ولا إنسانا فردا ، ولا حدثا واحدا ، ولكنه يعم الأجيال والأعصار ، والبلدان والأقطار .

وعلى قدر عظم القائل : تجد هذا العموم في قوله ، يبغي أن يجعل كلماتـه للناس منهاجاً ، وفي ظلمات الحياة سراجاً وهاجاً)[١]

● ربّ شعر يرتاع منه الكلام

ثم ان بعض الكتب الاسلامية التربوية قد فصلت بلا مبرر بين النثر والشعر ، وحرمت المربين من استعمال قطع من شعر الرقائق ، أو شعر الحماسة ، أو شعر العقيدة والفكرة ، مما قاله ثقات الشعراء القدامى والمحدثين ، والمرء ربما (يسمع المعنى نثراً فلا يهز له عطفاً ، ولا يهيج له طربا ، فاذا حول نظماً : فرح الحزين ، وحرّك الرزين ... وقرب من الأمل البعيد .)[٢]

(١) السوارد لعزام / ٣٤٠ .

(٢) خريدة القصر / القسم العراقي

و (ان من الشعر حكمة) كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم .

(وانما الوزن من الكلام كزيادة اللحن على الصوت : يراد منه اضافة صناعة من طرب النفس إلى صناعة من طرب الفكر .)[1].

لهذا ملنا إلى إيراد الأشعار، والاستعانة بها في هذه المواعظ .

وليس أدلّ على أهمية الشعر في نصر العقائد وترويجها مما كان له من دور في اسعاف أهل البدع وترويجها لدى العوام ، مضادة لمساعي ابن تيمية وتلامذته عندما انبروا لتفنيدها ودمغها بحجج السنة الغراء .

(ولا ريب أن منطق ابن تيمية القوي أثر أثره ، ولكن جفاف المنطق لا يقوى على مقاومة نضرة الشعر وفتنته .) كما يقول شاعر الإسلام محمد اقبال[2] .

وهو كما قال ، فإن الذي قلل من سريان كلام ابن تيمية في أوساط العامة هو ما كان عليه أئمة الضلالة الداعين إلى البدع من روعة البيان ، ورقة الشعر ، وتمكنهم فيه ، حتى سحروا قلوب الناس بشعرهم من حيث لا يشعرون ، ولم يتهيأ لابن تيمية شاعر مبدع يسانده .

ان للشعر هذه القابلية في اسعاف من يستعمله وتزيين الخطأ أو الصواب ، ونصرة الحق أو الباطل ، على حد سواء ، في كل شؤون الفكر وحقائق الحياة ، إذ النفس الانسانية تحب الجمال ، والشعر جمال كله ، وبامكانه أن يزيد الحق والصواب نضرة وزهاء ورونقاً ووضوحاً ، أو أن يخفي ما يشين صفحة الباطل والخطأ والوهم من خروق ونتوء واعوجاج ، فينطلي عيبه بالتزويق . ولا يتخلص من أسر الشعر وتأثيره الا قلب عامر بالايمان عمراناً كافياً .

إن هذه الظاهرة الشعرية هي التي دفعت إلى الاستعانة بالشعر في هذه المواعظ .

---

(١) كتاب محمد اقبال لعبد الوهاب عزام /٥٢ .

(٢) وحي القلم للرافعي ٣/٢٨٥ .

● سلف وأتباع

ولنا اقتداء في استعمال شعر الرقائق بالامام أحمد ، فقد كان يحفظ شيئاً منه املاه على ثعلب ، الأديب المشهور ، وسمعه أصحابه ينشد الشعر ، ووقف الشعراء بين يديه أيام محنته يمدحونه ، بل تنسب اليه قطعة نظمها في عتاب علي بن المديني حين لم يصبر معه على العذاب .

وقال له أحد أصحابه :

(يا أبا عبدالله : هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار ، أي شيء تقول فيها ؟

فقال : مثل أي شيء ؟

قال : يقولون :

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني ؟
وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني ؟

فقال : أعد علي .

قال : فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ، ورد الباب ، فسمعت نحيبه من داخل البيت ، وهو يقول :

إذا ما قال لي ربي امبا استحييت تعصيني ...)

وبهذه القناعة في جدوى الشعر وجوازه : اقتبسنا الكثير من دواوين القدماء ، ثم من دواوين الأميري ، وعبدالوهاب عزام ، وغيرهم .

وكذلك أضفت شيئا من شعر اقبال ، شاعر الاسلام الفحل مما في دواوينه : (رسالة المشرق) و(الأسرار والرموز) و(ضرب الكليم) ، فدخل شعره لأول

مرة في المواعظ العربية من بعد ترجمة عبدالوهاب عزام .

واقبال شاعر صحيح العقيدة ، عميق الرؤية ، سليم التفكير . وقد وثقه أبو الحسن الندوي وكرس له دراسة سماها : (روائع اقبال) ، كما وثقه المودودي في مقال مهم نشرته مجلة البعث الاسلامي الهندية[1] . بين فيه فضل اقبال في توجيه الجيل الذي اسرته الحضارة الغربية ، وابعاده عن ضيق القوميات ، وتأكيد صورة الدولة الاسلامية لديه ، حتى إن الاستاذ المودودي وصف عمل اقبال بأنه عمل عظيم في مجال الاصلاح ، له قيمة لا ينساها التاريخ الاسلامي ، وأنه استطاع إنقاذ الجيل المسلم الذي كانت تتلقفه فتن جديدة ، ونظريات مختلفة .

وفوق هذا ، فقد كان لاقبال في أواخر حياته عمل مهم ضخم جدا في ميزان الاسلام ، وهو تكريسه قلمه لفضح القاديانية والأحمدية ، والتحذير منها ، وكان شديد الانكار على زيغ وحدة الوجود ، خلاف ما يفهم البعض عنه .

● استرسال مع فطرة الجمال

والمجاز والجناس والتشبيه مثل الشعر ، وصاحب الذوق يدرك أن حديث الحماسة يكون أبعد تأثيرا إذا ازدان بهذه الفنون البلاغية ، ولذلك اقتبسنا منها ما يخلو من التكلف .

(وما المجازات والاستعارات والكنايات ، ونحوها من أساليب البلاغة ، إلا أسلوب طبيعي لا مذهب عنه للنفس الفنية ، إذ هي بطبيعتها تريد دائما ما هو أعظم ، وما هو أجمل ، وما هو أدق . وربما ظهر ذلك لغير هذه النفس تكلفا وتعسفا ووضعا للأشياء في غير مواضعها ، ونخرج من هذا أنه عمل فارغ ، واساءة في التأدية ، وتمحل لا عبرة به ، ولكن فنية النفس الشاعرة تأبى الا زيادة معانيها ، فتصنع ألفاظها صناعة توليها من القوة ما ينفذ إلى النفس ويضاعف

(١) مجلة البعث ، مجلد ١٦ عدد ٤ الصادر في شوال ١٣٩١ هـ

إحساسها ، فمن ثم لا تكون الزيادة في صور الكلام وتقليب الفاظه وترداد معانيه الا تهيئة لهذه الزيادة في شعور النفس .)[1]

● همم شباب الاسلام في مطلع قرن جديد

وبعد :

فان العالم الاسلامي قد اثخنته الجراح في القرن الرابع عشر الماضي ، وبلغت حملة الاعداء ذروتها ، ولكن محاولات الاستدراك قد ذربت من يذود عن حياض الاسلام ، وان لم يتم النصر ، وتربّت جموع من فتيان الايمان ، واستوى لها وعيها ، ورسخت عزيمتها ، مما يؤكد ثقتنا ببوادر نصر اسلامي يواكب مطلع القرن الهجري المبارك الخامس عشر بدأ يلوح في الافق ويستنهض الهمم .

يأتي هذا النداء من «جمعية الشريعة والقانون» بجامعة الامارات مع إطلالة القرن . . . بشارة، ونذارة، وتذكرة، وفي كل المسلمين بركة وخير اذا فقهوا، وعملوا واتحدوا .

---

(١) وحي القلم ٢١٣/٣ .

(إياكم وكل هوى يسمى بغير الاسلام)

صرخة تحذير صرخها المحدث الثقة ميمون بن مهران رحمه الله ، حين خاف ان يخدعنا بريق الاسماء المغايرة ، ما زال صداها مسموعاً عبر الأجيال .

فهو ينبهنا إلى ان كل ما هو (غير الاسلام) لا يعدو أن يكون هوى من الاهواء ، مهما تعدد شكل هذا الغير ، وأياً كان الزمن الذي يظهر فيه .

وهذا هو المأثور عن جميع أئمة المسلمين ليس عندهم الا حق واحد ، وهو الوحي ، وما عداه فهو الهوى المذموم الذي لا يمدح شيء منه ولا يلتحق بالحق ، ولا يجوز للمسلم أن يحتكم اليه أو يطمئن اليه قلبه .

● وحي ... أو الأهواء

وقد استوفى الإمام الشاطبي تقرير ذلك في إيجاز ، فقال في الموافقات :

(قد جعل الله اتّباع الهوى مضاداً للحق ، وعدّه قسيماً له ، كما في قوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » الآية .

وقال تعالى : « فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هي المأوى » .

وقال في قسيمه : « وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى » .

وقال : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى » .

فقد حصر الأمر في شيئين : الوحي ، وهو الشريعة . والهوى ، فلا ثالث لهما .

واذا كان الأمر كذلك فهما متضادّان . وحين تعينّ الحق في الوحي : توجه للهوى ضده . فاتباع الهوى مضاد للحق .

وقال تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » .
وقال : « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » .
وقال : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم » .
وقال : « افمن كان على بينة من ربه كمن زُين له سوء عمله ، واتبعوا اهواءهم » .

وتأمل . فكل موضع ذكر الله تعالى فيه الهوى فانما جاء به في معرض الذم له ولمتبعيه . وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس انه قال : ما ذكر الله الهوى في كتابه الا ذمه .

فهذا كله واضح في أن قصد الشارع : الخروج عن اتباع الهوى)[1] .

● ليس من طريق وسط

وما يزال ذاك أمر الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم . فقال جلّ من قائل :

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر ، فاتبعها ، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » .

(فاما شريعة الله ، واما اهواء الذين لا يعلمون . وليس هنالك من فرض ثالث ، ولا طريق وسط بين الشريعة المستقيمة والاهواء المتقلبة ، وما يترك أحد شريعة الله الا ليحكم الاهواء ، فكل ما عداها هوى يهفو اليه الذين لا يعلمون)[2] .

(انها شريعة واحدة هي التي تستحق هذا الوصف . وما عداها إهواء منبعها الجهل . وعلى صاحب الدعوة ان يتبع الشريعة وحدها ، ويدع الاهواء كلها . وعليه ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيء من الاهواء)[3]

ثم ما يزال ذاك امره تعالى الى المؤمنين ، مخاطباً لهم أن :

---

(١) الموافقات ١٢١/٢

(٢) (٣) في ظلال القرآن ١٣٦/٢٥ .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة . ولا تتبعوا خطوات الشيطان » .

(اما هدى الله ، واما غواية الشيطان .

وبمثل هذا الحسم يدرك المسلم موقفه ، فلا يتلجلج ، ولا يتردد ، ولا يتحير بين شتى السبل ، وشتى الاتجاهات .

انه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن ان يختار واحداً منها ، أو يخلط واحداً منها بواحد .

كلا ! إنه من لا يدخل في السلم بكليته ، ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته ، ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ، ومن كل منهج آخر ، ومن كل شرع آخر ، ان هذا في سبيل الشيطان ، سائر على خطوات الشيطان) [1] .

●فتنة ... وحذر

وقد سمى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ردّ الشيء الواحد من كلام رسول الله ﷺ زيغاً ، فقال :

(نظرت في المصحف ، فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً) .

ثم جعل يتلو : « فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة » .

---

(١) الظلال ٢/١٤٢

١ وما الفتنة ؟ : الشرك .

لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه)[١]

● إنكار بعض الشريعة كفر

ولكن الزيغ درجات .

فزيغ هو كفر محض ينتقل صاحبه إلى ما وراء حائط الاسلام . يحصل ويتحقق بأن يعلم امرؤ علماً وافياً بحكم شرعي في العقيدة أو الأحكام ، ويعلم ثبوته بآية في كتاب الله أو بكلام متواتر عن رسول الله ﷺ ، ثم يدعي عدم إيمانه بصلاح هذا الحكم الشرعي للعمل به ، ويصفه بأنه يفوت المصالح ، أو بأنه لا يتناسب مع التطور ، وما الى ذلك .

فهذا هو من عنته الايات بأنه يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، وما من خلاف بين المسلمين في تكفيره .

فشيخ الاسلام ابن تيمية مثلا ، يذهب في كلام صريح الى تكفير هؤلاء اصحاب الايمان الجزئي ، ويأتي بأدلة من القرآن الكريم ، ويعلن ، رحمه الله ، عدم اقتصار صفة الكفر على الملحد ومنكر جميع الرسالة بل ان :

(المؤمن ببعض الرسالة دون بعض كافر أيضا ، كما قال تعالى :

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ، اولئك هم الكافرون حقاً .

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية / ٥٦ .

واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً .والذين آمنوا بالله ورسله . ولم يفرقوا بين احد منهم ، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفوراً رحيماً » .

وقال تعالى يخاطب أهل الكتاب :

« ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وان يأتوكم اسارى تفادوهم ، وهو محرم عليكم اخراجهم ، افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » .

وقال تعالى :

« الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد امروا أن يكفروا به ؟ ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً . واذا قيل لهم : تعالوا إلى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » .

وقال تعالى :

« الم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ؟ أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » .)

ثم ينبه ابن تيمية ، بعد سرده هذه الأيات ، الى أن الله تعالى خلالها ، قد :

(ذم الذين اوتوا قسطاً من الكتاب لما آمنوا بما خرج عن الرسالة وفضلوا الخارجين عن الرسالة على المؤمنين بها ، كما يفضل ذلك بعض من يفضل الصابئة من الفلاسفة والدول الجاهلية ـ جاهلية الترك والديلم والعرب والفرس وغيرهم ـ على المؤمنين بالله وكتابه ورسوله . كما ذم المدعين الايمان

بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم الى الكتاب والسنة ، ويتحاكمون الى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله ، كما يصيب ذلك كثيرا ممن يدعي الاسلام وينتحله ، في تحاكمهم الى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم ، أو الى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الاسلام من ملوك الترك وغيرهم ، واذا قيل لهم : تعالوا الى كتاب الله وسنة رسوله : اعرضوا عن ذلك اعراضا)[1] .

فابن تيمية ـ كما ترى ـ يفسر الطاغوت الوارد في الآية بأنه صاحب كل مقال يخالف الكتاب والسنة ، وان سمى نفسه فيلسوفاً أو ملكاً . والايمان بالله ، دون الايمان برسوله وأوامره وتعاليمه انما هو تفريق يؤدي الى الكفر ، ولا اعتراف بمن يريد أن يتخذ الحل الوسط والدين المخلط المرقع . اولئك الذين وصفتهم الآية بانهم يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ، اي سبيلا ثالثا وسطا بين سبيل الاسلام وسبيل الآراء البشرية ، فيجمع من هذا ومن هذا مزيجا مركبا يحكم الناس به .

● لا نكفر مسلماً بغير برهان

ثم هناك من الزيغ ما هو دون ذلك واصغر .

قال ابن تيمية :

(قال غير واحد من السلف :

كفر دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك)[2] .

درجات متعددة من العصيان ، منه اللمم ، ومنه الكبائر ، وما بينهما ، يرتكبها المسلم شهوة ، في ضعف من الهمة ، وبعد عن المروءة ، من دون أن يخطر على

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٣٣٩

(٢) مجموع لفتاوى ١١/ ١٤٠ .

باله نفي ما أتت الشريعة به وخالفه . او يفعل ذلك جهلا بأحكام الشريعة . لا يكلف نفسه عناء الاستفتاء . وما هو بعناء . أو يتأول تأولا .

ومحور الاستدلال في هذا عندنا قول البخاري رحمه الله :

(المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا يكفر صاحبها بارتكابها ، الا بالشرك ، لقول النبي ﷺ : انك امرؤ فيك جاهلية)(١)

فأنت ترى أن استشهاد البخاري بهذا القول النبوي الشريف واضح الصواب . والمخاطب به : أبو ذر رضي الله عنه . مع أنه كان من أجل الصحابة . لما حصل منه من تعيير بلال بأمه السوداء .

فالمعصية الواحدة هي شعبة من الجاهلية كما يقول النبي ﷺ . وكلما زادت معاصي المسلم زادت نسبة ما فيه من الجاهلية . ولكن لا ينتقل الى الجاهلية كلية الا بالشرك في العبادة او اعتقاد حل بعض ما حرم الله . وايمانه ببعض وكفره ببعض .

وهذا هو السر في تشديد النبي ﷺ على الحذر في تكفير من يظهر الاسلام . وقوله :

(أيما امرىء قال لأخيه : يا كافر . فقد باء بها احدهما . ان كان كما قال . والا رجعت عليه)(٢) .

وفي شرح الاصول العشرين ان : (تكفير المسلم على وجه يخرجه من الاسلام خطير جداً . فلا بد من صدور ما يخرجه عن الاسلام قطعاً . كأن يأتي قولا أو عملا لا يحتمل أي تأويل في كفر صاحبه . مثل ان ينكر القطعي من الدين . كوجوب الصلاة . وحرمة الربا . او عدم لزوم التقيد بالاسلام . او استهزأ -

---

(١) صحيح البخاري ١/١٥

(٢) صحيح مسلم ١/٥٧

بالاسلام أو بالقرآن ، أو سب الله ورسوله ، أو لوث القرآن بقذر ، او كذب صريح القرآن ، او انكر اليوم الآخر ، او قال : ان الشريعة صارت عتيقة وذهب زمانها ولا تصلح للتطبيق ولا لزوم لها في الوقت الحاضر ، وغير ذلك ، مما يجعل قائله او فاعله كافراً قطعاً .

أما إذا صدرت منه معاصي ، كشرب الخمر مع اقراره باصول العقيدة الاسلامية ، فهو عاص لا كافر. كذلك اذا قال قولا او عمل عملا يحتمل التأويل فلا نكفره بقوله اوعمله هذا .

ومن الجدير بالذكر اننا نطلق على بعض الافعال ، او ترك بعض الافعال ، اسم الكفر . كما جاءت بها النصوص الشرعية ، مثل : « ترك الصلاة كفر » اما تكفير شخص معين بالذات فلا بد من صدور ما يكفر به يقيناً ، مثل جحوده فرض الصلاة ، أو استتابته والقول له : اذا لم تصل نقتلك . ويصر على الترك ، ويؤثر القتل ، فهذا دليل خلو قلبه من الايمان ، ويموت كافراً .

كذلك يجب ان نعلم ان الكفر نوعان :

كفر أصغر لا يخرج صاحبه من الاسلام

وكفر اكبر يخرج صاحبه من الاسلام .

وعلى ضوء هذه التفرقة نستطيع ان نفهم بعض النصوص ، مثل : « من حلف بغير الله فقد اشرك » فهذا شرك غير مخرج من الاسلام ، وانما هو معصية غليظة جداً ، وهكذا) [١] .

---

١) شرح الأصول العشرين / ٥٥ .

● حساسية النفس المؤمنة

ولكن هذا الحذر في التكفير ، لا يمنعنا من رؤية مدى الانحراف بالغ السعة ، الذي جنح اليه معظم المسلمين .

نعم ، هم من المسلمين .

لكنهم في المعاصي والغون ، قد انحدروا الى ادنى درجات الايمان ، وتخلفوا عن منازل الفضل .

ووراء ذلك قصة طويلة تبدأ من يوم ما بدأت الفتوح والادارة تستهلك تدريجياً تلك الصفوة المؤمنة من أصحاب رسول الله ﷺ ، المندفعة بعد موته لاتمام مهمته في نشر الدين باروع الاندفاع ، المنتشرة مثل شعاع الشمس ، تفتح البلاد ، وتحطم الطواغيت ، وتقود الناس الى الجنة .

فما أن اتت السنوات الاخيرة من القرن الأول حتى كان نوع بطر قد سرى الى جيل جديد ممن خلف اولئك الافذاذ ، فلانت له نفوس ، وضعفت عزائم كان اولى لها ان تواصل تحطيم بقية الطواغيت .

ويهيىء الله تعالى للامة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، بما حباه من روح عالية ، فيرى في مجرد ذاك البطر القليل والقعود دلالة انحراف عن الحق ، ويستعظم ان تكون امة الجهاد قد خفَّ اندفاعها ، فيقول حزيناً :

(اني اعالج امراً لا يعين عليه الا الله ، قد فني عليه الكبير ، وكبر عليه الصغير ، وفصُح عليه الأعجمي ، وهاجر عليه الأعرابي ، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره) [1] .

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبد الحكم / ٣٧ .

كلمة قالها عمر في حزن عميق ، مع أنه يستلم قيادة امة تسود الامم ، وتفيض بمعاني الخير ، وتحكم نفسها عموماً بشرع الله .

انه استكبار واستعظام المؤمن لصغار المعاصي ، وقليل البدع ، وهين الظلم واوليات الترف .

وانها نفس المؤمن في حساسيتها البالغة ازاء معاني العدل والظلم ، والاتّباع والابتداع ، والبذل والدعة .

ولذلك تجد المؤمن أبداً ساعياً في طلب الأفضل الأكمل ، غير مستعد لغض بصره أو كف لسانه عن ميل .

● جيلنا المخدوع

ومضت من بعد عمر قرون وأجيال ، نصر الاسلام في حقب منها أبطال من القادة والمصلحين ، وسادت الغفلة في حقب اخرى ، حتى رأينا الأمة في يومها هذا وقد انهكتها خطط اليهود ودول الكفر ، وسلبتها خيرها ، بما اضعفته من ايمانها ، وبدلته من موازينها ، وبما اقصته من حكم قرآنها ، وما فرضته وربت عليه ذراري المسلمين من تصورات مغايرة للاسلام تكسبها مختلف الأسماء وتلبسها متعدد الثياب .

فان كان في قلب المرء بقية من ايمان ، وأثارة من غيرة ، يأبى معها التنصل من دينه : صرعوه بالتزوير ، وخدعوه بالتمويه ، فيجعلونه اسير ساسة وادباء ومستشرقين لا فقه لهم ، يتشبثون بنصوص عامة من القرآن والحديث ، وربما من الحديث الموضوع ، لتخريج نظم السياسة والاقتصاد تخريجاً اسلامياً دون ضابط من اصول الفقه وشروط الاجتهاد .

فمحنة المسلمين اليوم لا تقتصر على تسلط ائمة الضلالة فحسب ، بل تعدت ذلك الى تربية سخرت المناهج الدراسية وكراسي الجامعات والصحف والاذاعات لمسخ الافكار والقيم ، حتى غدا صيد المخططات في سرور ، يحسب نفسه في

انعتاق من اسر القديم ، اي قديم كان .

ان عصاة المسلمين اليوم ضحية تربية اخلدتهم الى الارض . ارادت لهم الفسوق ابتداء ، لتستخف بهم الطواغيت انتهاء .

وانها خطة قديمة . يأخذها الطاغوت اللاحق عن الطاغوت السابق ، حتى تصل أصولها الى فرعون ، (وذلك كما يقول الله سبحانه : « فاستخف قومه فأطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين » . فهذا هو التفسير الصحيح للتاريخ . وما كان فرعون بقادر على ان يستخف قومه فيطيعوه لو لم يكونو فاسقين عن دين الله ، فالمؤمن بالله لا يستخفه الطاغوت ، ولا يمكن ان يطيع له امر)[1] .

وهكذا ادركوا المقتل الذي عرفه فرعون ، فتواصوا بالافساد واخذوا يحولون المجتمعات الى فتات غارق في وحل الجنس والفاحشة والفجور ، مشغول بلقمة العيش لا يجدها الا بالكد والعسر والجهد ، كي لا يفيق بعد اللقمة والجنس ، ليستمع الى هدى او يفيء الى دين)[2] .

وصارت تلك سياستهم .

(سياسة محاربة المساجد بالمراقص .

ومحاربة الزوجات بالمومسات .

ومحاربة العقائد باساتذة حرية الفكر .

ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة)[3]

وهكذا تحول بهذه التربية ذلك الصقر الاسلامي الى مثل طائر الحجل في وداعته ، كما يقول اقبال .

انه الأدب والترويض الذي استعمله ائمة الضلالة .

---

(١) الظلال ٩/٤٥ .

(٢) الظلال ٩/١٢٢ .

(٣) وحي القلم للرافعي ٢/٢٥٨ .

ادب :

يسلبُ السروَ جميل الميْلِ ويرد الصقر مثل الحَجَلِ
يَسحر الركبان باللحن المبين ولقاع البحر يهوي بالسفين
نوّمت الحائه يقظتنا أطفأت انفاسه وقدتنا[1]

وأُشرب الناس الذل ...

ان (الانسان بفطرته نفور من الذل ، آب على الحيف ، ولكن تحيط بالناس احوال ، وتتوالى عليهم حادثات ، فيراضون على الخضوع حيناً بعد حين ، ويسكنون الى الخنوع حالا بعد حال ، حتى يدربوا عليه ، كما يستأنس السبع ، ويؤلف الوحش ، ولكن يبقى في النفس ذرات من الكرامة ، وفي الدماء شذرات من الجمر ، فاذا دعا الداعي الى العزة ، وأذن بالحرية ، وايقظ الوجدان النائم ، وحرك الشعور الماجد : نبضت الكرامة في النفس ، وبصت الجمرة في الرماد ، وافاقت في الانسان انسانيته ، فأبى وجاهد ورأى كل ما يلقى اهون من لعبودية ، وحسن من هذه البهيمية .

كل ذل يصيب الانسان من غيره ، ويناله من ظاهره : قريب شفاؤه ، ويسير ازالته ، فاذا نبع الذل من النفس ، وانبثق من القلب ، فهو الداء الدوي ، والموت الخفي .

ولذلك عمد الطغاة المستعبدون الى ان يُشربوا الناس الذل ، بالتعليم الذليل والتأديب المهين ، وتنشئة الناشئة عليه بوسائل شتى ، ليميتوا الهمة ، ويخمدوا الحمية ، واذا بيدهم العصا والزمام)[2] .

---

(١) كتاب (محمد اقبال) لعبد الوهاب عزام /١٦٢ .

(٢) الشوارد ، لعبد الوهاب عزام /٣١٨ .

● الظبي الجفول !...

وكان من تمام ما يلزمه هذا الترويض ان يستبد بالتوجيه التربوي والاذاعي والصحافي أدعياء العلم والشعر والحكمة ، الذين موّهوا امرهم باسماء منظمات تبدو في ظاهرها مختلفة ، وطفقوا يزينون للجيل الجديد ، سليل المجاهدين وشبل الاسود ، ان يكون رقيقاً للشهوات والجنس والعيش الرغيد ، وبدأوا يمحون تراث الامة الذي نهضت به ، ويطمسون قصص العلماء ، حذراً من ان تكون نبراساً للجيل يستدل بها على طريق العمل ...

فذلك قول شاعر الاسلام اقبال رحمه الله :

ليس يخلو زمان شعب ذليل	من عليم وشاعر وحكيم !
فرقتهم مذاهب القول لكن	جمع الرأي مقصد في الصميم :
علّموا الليث جفلة الظبي وامحوا	قصص الأسد في الحديث القديم
همهم غبطة الرقيق برقّ	كل تأويلهم خداع عليم(١)

وقد كان ...

هذا هو عنوان خطة الكيد اليهودي والصليبي .

انه تعليم الليث الاسلامي جفلة الظبي .

ومحو قصص اسد الاسلام من العلماء والزهاد والمجاهدين من تاريخ القرون الفاضلة الأولى لهذه الأمة المجاهدة .

وانتجت خطط التربية ذاك الظبي الجفول الذي لم يعد يقتحم.، واستبدل العزم بالتلفت ، والمسارعة الى الهرب .

انهم هذا الجيل من ابناء المسلمين .

شبل اسد تحول الى ظبي وديع

(١) ديوان ضرب الكليم لاقبال /١٠٢ .

وحر استرقّوه ففرح .

ومرت الخطة ، حتى ان ما نلحظه اليوم لدى بعض المخلصين من ميل الى العزلة والخوف من التعاون مع بقية المسلمين ليس الا من آثار هذه التربية ، ودليلاً على نفاذها ، وليس ذلك بمستغرب ، فانها اذا نجحت في ابعاد الكثيرين عن الاسلام ، فمن باب اقرب ان تبعدهم عن بعض الاسلام ، وتقنعهم بترديد الكلام .

● ضرورة الانتشال السريع

ويقف المسلم اليوم كذاك الموقف الذي وقفه عمر بن عبدالعزيز ، فيحس بوجوب السعي لانتشال الامة من تيهها الذي تهيم فيه ، ويدرك ان لا مناص له من التقدم للأخذ بقيادها وان ابت ، ومع ما يكلفه الأمر من التعب والنصب .

فلا ريب ان السواد الاعظم قد انحرف من غير ما قصد كيد ، ولا ارادة سوء ، وهم اهل لأن يشاركوا الدعاة في ارجاع الامة الى اسلامها والسير في خط الحركة الاسلامية ، والدوران في فلكها ، اذا انجلى لهم جانب الانخداع الذي هم فيه .

ثم يقف الداعية وقفة اخرى ، فيجد ان الامر كما قال عمر ، صعب ، قد فني عليه الكبير ، وكبر عليه الصغير ، وهاجر عليه الاعرابي .

فماذا يفعل ؟

الجواب : ان ينطلق انطلاقاً مزدوجاً في آن واحد لا حرجَ فيه . اي ان ينظر الى الحكومة الداعية الى نهج يخالف الشرع ، او الحزب الداعي الى مثل ذلك ، او الفرد المتفلسف المعتقد لحل بعض الحرام ، او المنكر لجزء من الايمان ، نظرة تكفير غاضبة .

وهو في الوقت نفسه ينطلق منطلقا آخر تجاه أهل المعاصي من المسلمين ، ويخاطبهم أنواعاً متعددة من الخطاب .

فمنها : خطاب حب وتوعية لمن أدى الفرائض والتزم بالأحكام وأمر بالمعروف .

ومنها : خطاب حب وعتاب ، او تقريع ، لمن التزم وسكت في مواطن الأمر والنهي .

ومنها : خطاب شفقة ورحمة وحنان ، لمن الهته الشهوة والغفلة عن الفرائض وسدر في العصيان .

ومنها : خطاب مقت وتذكير غاضب عنيف لصاحب الكبائر الظالم الماجن .

كل ذلك في آن واحد .

معاً في المجتمع الواحد .

كُسُوفٌ لا غُرُوبٌ

ويرفض المسلم الواعي أن ينصاع للخداع .

ويستعلي أن تمر خطة الكيد .

فيقف يؤذن في الناس .

ولكن أكثر الناس نيام .

ويرى جلد أصحاب الباطل وأهل الريبة وتفانيهم لامرار باطلهم ، فإذا التفت رأى الأمين المسلم سادراً غافلا ، إلا الذين رحمهم ربهم ، وقليل ما هم .

ويعود ليفرغ حزنه ، في خطاب مع نفسه ...

تبلَّدَ في الناس حِسُّ الكفاح ومالوا لكسبٍ وعيشٍ رتيبْ
يكاد يُزعزعُ من همّتي سُدورُ الأمينِ ، وعزم المريبْ[1]

ويتهم نفسه أنه لم يكن بليغاً في ندائه ، ولكن سرعان ما يحسّ أنه قد حاز البلاغة من أقطارها ، فيعود يسلي نفسه ويجمل عزاءه ...

ومن حرّ شدوي يُرى في الخريف طروباً بصحبتي العندليبْ
ولكن خُلقت بأرضٍ بها نفوس العبيد يرقٌ تطيبْ[2]

---

(١) ديوان مع الله للاميري/١١٠ .

(٢) ديوان ضرب الكليم لاقبال/١٤ .

لقد تبدلت موازين البلاغة . وافتقد الجيل الأعمال الكبيرة التي يتمجد بها ، فصار ـ كما يقول الرافعي ـ :

(تخترع له الألفاظ الكبيرة ليتلهى بها)[1] .

ورغم الفساد ، فإن المسلم لن يتخلى عن محاولة انتشال العباد . وان كل وساوس اليأس من الاصلاح لن تلبث أن تتبدد أمام لحظة انتباه إيماني تريه مكانته المتوسطة لموكب الايمان السائر . أخذ عن السلف ، ولا بد أن يسوق له قدر الله خلفاً يستلم الأمانة منه .

ذلك وعد الله ..

وإنه لموكب لن ينقطع أبداً ، مضى به القول على لسان النبي ﷺ حين قال (لاتزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[2]

بل ان وجود العصبة المسلمة في الأرض ، كاملة الدينونة لله ، التي لم تتلوث بانحراف عن نهجه ، ولا توان عن قصده ، هي من سنن الله الكونية التي كمل بها الله سبحانه ميزان ما خلق . ولو افتقدت هذه العصبة لثقل الميزان في جانب ، وخف في جانب ، واضطرب الكون كله .

لذلك كان وجود الدعوة الربانية في هذه الأرض حتماً مقضياً .

أرأيت لو زالت الشمس من هذا الكون ، أو زالت الجاذبية ، كم يكون الاضطراب ؟

فكذلك وجود دعوة الحق ، فانها والشمس والقمر والجاذبية والماء والهواء من سنن الكون التي يتحتم وجودها ، والا فتقوم ساعة القيامة ، لكنها سنة لن يراها إلا صاحب قلب سليم ، كما لا يرى الجاذبية إلا صاحب درس عليم .

---

(١) وحي القلم ١/١٠٣ .

(٢) صحيح مسلم ٦/٥٢ .

وهذا مصدر إصرار المسلم على المضي في الطريق ، يتعرض لقدر الخير هذا من أقدار الله ، يرجو أن يتجلى فيه ، فيكون من الفائزين . وأما من أعرض فان السنه ماضية لن تتنف لاعراضه ، ويهدي الله لتجلية قدره وسنته قوما آخرين .

وكما أن للشمس ثباتا وجاذبية وللأرض مداراً ودورانا ، فان للبشر هذا الدين ، ان فقده اختل ميزانه . والناظر يرى أبعد من ذلك ، ويبصر ان للكون هندسة بديعة ، هذا الدين جزء منها ، فلا بد أن تمثله جماعة في كل وقت .

وأدرك عبد الوهاب عزام رحمه الله هذه السنة المكونية أيضاً ، سنة من لا يبتئس لصولة الباطل ، ولا يرده تساقط الشهداء ، فقال :

سنن الله في الخلائق تمضي ... لا تني ساعة ، وليست تحول
وخلال الأحرار منها ، فليست ... عن جهاد في الحق يوماً تزول [1]

وبادراك عزام لهذه الحقيقة تبين فقهه ووعيه رحمه الله .

إن إسلامنا نبأ عظيم ، وهو من مكملات الناموس الكوني الذي يختل بدونه . فلا بد إذن أن يوجد في الواقع ، وتمحى الجاهلية ، ليتم الناموس من غير اضطراب .

« قل : هو نبأ عظيم ، أنتم عنه معرضون » .

(وانه لأمر اعظم بكثير من ظاهره القريب . انه أمر من أمر الله في هذا الوجود كله . وشأن من شؤون هذا الكون بكامله . انه قدر من قدر الله في نظام هذا الوجود . ليس منفصلا ولا بعيداً عن شأن السماوات والأرض ، وشأن الماضي السحيق والمستقبل البعيد .

ولقد جاء هذا النبأ العظيم ليتجاوز قريشاً في مكة ، والعرب في الجزيرة ،

---

(١) ديوان المثاني لعزام/ ١٣٣ .

والجيل الذي عاصر الدعوة في الأرض ، ليتجاوز هذا المدى المحدود من المكان والزمان ، ويؤثر في مستقبل البشرية كلها في جميع اعصارها وأقطارها ، ويكيف مصائرها منذ نزوله إلى الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولقد نزل في أوانه المقدر له في نظام هذا الكون كله ، ليؤدي دوره هذا في الوقت الذي قدره الله له .

ولقد حول خط سير البشرية إلى الطريق الذي خطته يد القدر بهذا النبأ العظيم ، سواء في ذلك من آمن به ومن صد عنه ، ومن جاهد معه ومن قاومه ، في جيله وفي الاجيال التي تلته . ولم يمر بالبشرية في تاريخها كله حادث أو نبأ ترك فيها من الآثار ما تركه هذا النبأ العظيم ..

ولقد أنشأ من القيم والتصورات ، وأرسى من القواعد والنظم في هذه الأرض كلها ، وفي أجيال البشرية جميعها ، ما لم يكن العرب يتصورونه ولو في الخيال .

وما كانوا يدركون في ذلك الزمان أن هذا النبأ إنما جاء ليغير وجه الأرض ، ويوجه سير التاريخ ، ويحقق قدر الله في مصير هذه الحياة ، ويؤثر في ضمير هذه البشرية وفي واقعها ، ويصل هذا كله بخط سير الوجود كله ، وبالحق الكامن في خلق السماوات والأرض وما بينهما ، وأنه ماض كذلك إلى يوم القيامة ، ويؤدي دوره في توجيه اقدار الناس واقدار الحياة .

والمسلمون اليوم يقفون من هذا النبأ كما وقف منه العرب أول الأمر ، لا يدركون طبيعته وارتباطها بطبيعة الوجود ، ولا يتدبرون الحق الكامن فيه ليعلموا أنه طرف من الحق الكامن في بناء الوجود ، ولا يستعرضون آثاره في تاريخ البشرية وفي خط سيرها الطويل استعراضاً واقعياً ، يعتمدون فيه على نظرة مستقلة غير مستمدة من اعداء هذا النبأ ، الذين يهمهم دائماً أن يصغروا من شأنه في تكييف حياة البشر وفي تحديد خط التاريخ ، ومن ثم فان المسلمين لا

يدركون حقيقة دورهم سواء في الماضي او الحاضر او المستقبل ، وأنه دور ماض في هذه الأرض إلى آخر الزمان)[1] .

ولكن ان لم يدركه ضحايا خطط الترويض من الظباء الجفولة واسراب الحجل الوديع ، فان ليوثا من شباب الإسلام قد أدركوه ، وها نحن نسمع نشيدهم المتعالي في سيرهم الميمون .

نحن وراث هداة للبشر ... نحن عند الحق سر مدخّر
لا تزال الشمس تبدي نورنا ... غيمنا فيه بروق وسنا
ذاتنا المرآة للحق ، اعلم ... آية الحق : وجود المسلم[2]

وكذلك الفقه والوعي حين يكون ..

آية الحق وجود المسلم .

وجود المسلم حتمية من حتميات التاريخ الماضي والحاضر وانها لحتمية ماضية الى يوم القيامة .

(والحق هو قوام هذا الوجود ، فاذا حاد عنه : فسد وهلك « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن » ، ومن ثم فلا بد للحق أن يظهر ، ولابد للباطل أن يزهق . ومهما تكن الظواهر غير هذا فان مصيرها الى تكشف صريح « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق »)[3] .

ولئن رأى الحاضر من البشرية اقصاء الإسلام عن الحياة فما ذاك إلا كما تكسف الشمس . والذي حصل من الاضطراب والظلم والفساد بإقصائه لدليل

---

(١) في ظلال القران ١٠٧/٢٣ .
(٢) ديوان الاسرار والرموز لاقبال/٦٧ .
(٣) مقدمة الظلال ٧/١ .

لاولي الابصار يميزون به صواب ما نقول من كون الاسلام جزيئة لا بد منها في نظام الكون البديع يختل بدونه .

وكما تأوي الطيور إلى اعشاشها حين تكسف الشمس ظهراً ، وتعرف بفطرتها ان ثمة شذوذاً قد حصل ، وان الغروب لا يزال بعيدا ، ويكون لها الشعاع الضئيل الباقي مصدر أمل لعودة سريعة لنور الحياة ، وتظل تنتظر لا تنام ، فكذلك اولو القلوب الحية ، يدركون بفطرتهم أن تنحية الاسلام عن القيادة كانت حدثاً هائلاً غريباً ، لكنه ليس الغروب ، وإنما هو حدث شاذ .

(لقد كانت تنحية الاسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً في تاريخها ، ونكبة قاصمة في حياتها . نكبة لم تعرف لها البشرية نظيرا في كل ما ألم بها من نكبات ..

لقد كان الاسلام قد تسلم القيادة بعدما فسدت الأرض ، واسنت الحياة ، وتعفنت القيادات ، وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة ، « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » .

تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن ، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن ، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور ، فكان ذلك مولداً جديداً للانسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته ، لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصوراً جديداً عن الوجود والقيم والنظم ، كما حقق لها واقعاً اجتماعياً فريداً كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور ، قبل أن ينشئه لها القرآن انشاء .

نعم ! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال ، والعظمة والارتفاع ، والبساطة واليسر ، والواقعية والايجابية ، والتوازن والتناسق ، بحيث لا يخطر للبشرية على بال ، لولا أن الله أراده لها ، وحققه في حياتها ، في ظلال القرآن ، ومنهج القرآن وشريعة القرآن .

ثم وقعت تلك النكبة القاصمة ، ونحي الاسلام عن القيادة ، نحي عنها لتتولاها الجاهلية مرة اخرى ، في صورة من صورها الكثيرة . صورة التفكير المادي الذي تتعاجب به البشرية اليوم ، كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش واللعبة زاهية الالوان)[١] .

لكنها تنحية لن يسكت عنها المسلم الواعي . والطفل يجب أن نفتح له ذهنه ونريه حقائق الناموس الكوني . ان المسلم أعز من أن يعتقد أن لصيق الأرض بامكانه النطق بالصواب .

وإنما الصواب عنده ما نزل من السماء .

ولن يعدو هذا التنزيل ، ولا يتجاوزه ، بعد إذ قال رسول الله ﷺ :

(أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[٢] .

رفعت الاقلام وجفت الصحف .

كل شيء ما خلا الله باطل .

لا منهج إلا منهج الله ، وكل عبادة لسواه باطلة .

وهذا هو الذي عناه ربعي بن عامر حين قال لرستم :

(الله جاء بنا ، لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله)[٣]

فان (الاسلام هو منهج الحياة الوحيد ، الذي يتحرر فيه البشر من عبودية

---

(١) مقدمة الظلال ٩/١ .

(٢) صحيح البخاري ٥٣/٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٢٠/٣ .

البشر)[1] . (فإذا أحنوا رؤوسهم فإنما يحنونها لله وحده ، وإذا أطاعوا الشرائع فإنما يطيعون الله وحده ، وإذا خضعوا للنظام فإنما يخضعون لله وحده ، ومن ثم يتحررون حقاً من عبودية العبيد للعبيد ، حين يصبحون كلهم عبيداً لله بلا شريك)[2] .

● سجدة الحرية

ورمزهم في كل ذلك هذه السجدة التي تعلي القلوب ، كما أن رمز الجاهليين تلك السجدة للمادة والجنس مميتة القلوب .

انها سجدة المسلم ، عنوان العلو ، وشارة الحرية والبراءة من كل طاغوت ...

سجدة تخفض الجباه ولكن … عزّ فيها مسبح وتعالى
ظنها الجاهلون غُلاً على العبد … ولكن تحطم الأغلالا
خرّ فيها لساجد كل شيء … يرهب الكون قوله والفعالا
تثبت الوجه والجوارح في الأر … ض ، ولكن تقلقل الأجبالا
تهدم الشرك والوساوس في النف … س ، ولكن تشيد الأجيالا
في سكون ، وللقلوب مسير … سخر الأرض رهبة وجلالا
هي لله ، وحدّته ، فقرّت … ومحت كل غاشم يتعالى
من وعاها : وعى السيادة في … الأرض جلالاً ، ورحمة ، وجمالا[3]

وستظل البشرية معذبة مضطربة قلقة مريضة ما دامت لا تسجد هذه السجدة ولا تعتنق عقيدة الاسلام . وما استمرار عذابها النفسي وظلمها مع تقدمها المدني إلا دلالة على (ان العقل لا يصلح وحده أن يكون ضابطاً موزوناً ما لم ينضبط هو على ميزان العقيدة الصحيحة . فالعقل يتأثر بالهوى كما نشهد في كل حين ،

---

(١) الظلال ٤/٢٠٦ .

(٢) لعبد الوهاب عزام في مجلة (المسلمون) السنه الاولى/٩٦١ .

ويفقد قدرته على المقاومة في وجه الضغوط المختلفة ما لم يقم إلى جانبه ذلك الضابط الموزون)[٢] .

ولا سعادة لإنسان ، ولا نجاة له من الانجراف في الانهيار السريع الذي تورطت فيه الجاهلية من حوله إلا بأن يلجأ إلى هذه العقيدة يستهديها الطريق ، فتجيبه الجواب الصحيح على الأسئلة التليدة لكل إنسان ، ليكتشف أن ادعياء الفكر هم الذين أقاموا الحجاب بينه وبين فطرته .

ويومها فقط سيذوق معنى السعادة ..

ان السعادة أن تعيش   لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل   قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الحير   ان في وعي رشيد
من أين جئت ؟ وأين أذهب ؟   لمْ خلقت ؟ وهل أعود ؟

فتشيع في النفس اليقين   وتطرد الشك العنيد
وتعلّم الفكر السوي   وتصنع الخلق الحميد
وترد للنهج المسدد كل   ذي عقل شرود

تعطي حياتك قيمة   رب الحياة بها يشيد
ليظل طرفك رانيا   في الافق للهدف البعيد
فتعيش في الدنيا لاخرى   لا تزول ولا تبيد
وتمد أرضك بالسماء   وبالملائكة الشهود
هذي العقيدة للسعيد   هي الأساس هي العمود
من عاش يحملها ويهتف   باسمها فهو السعيد[٢]

---

(١) الظلال ٧/٥٧ .
(٢) يوسف القرضاوي .

تحليل الاحداث ، وتفسير التـاريخ ، وتسـمية المقدمـات الخفية المؤدية إلى النتائج المنظورة ، كل ذلك إنما يتبع العقيدة التـي يحملهـا الشـخص المحلل المفسر ، والميزان الـذي يزن به الامـور والظواهـر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ومن هنا اختلفت التفاسير والاجتهادات اختلافاً بيناً واضحاً وصار المؤمن ينظر أشياء من العلاقات بين النتائج وبين بعض الاحداث والاحوال نظرا واضحاً كأنها أمام عينيه ، ويلمسها بيده ويفركها ، فتزول قشورها التي تحجبها ، بينما لا يراها الكافر والجاهلي او الفاسق الذي طبع على قلبه وتغلف بأغلفة الشهوات والغفلات .

ان هذا الاختلاف مرده اختلاف الميزان فحسب .

ومن اهم الظواهر التاريخية التي يختلف في تفسيرها وتحليلها ظاهرة الاضطراب الاجتماعي والتراجع والخراب المدني من بعد التقدم العلمي والعمراني والفني ، واستمرار التقهقر التدريجي ، حتى ربما يختم بدمار كامل فجائي بقوة غير عادية .

فالكفار والفساق يدورون في حلقة مفرغة من التعليلات لهذه الظاهرة كلها اوهام . اما المسلم فله قول فصل واحد في تفسير هذه الظاهرة مستمد من كثير من آيات القرآن واحاديث الرسول ﷺ ، واوجزه الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجملة واحدة جامعة حين سئل :

(أتوشك القرى أن تخرب وهي عامرة ؟

قال : إذا علا فجارها على ابرارها)[1] .

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن [illegible]

هذا هو السبب ، والداء الدوي .

إن علو الفجار على الأبرار سبب الاضطراب والخراب . حتى إذا تمادى الفاجر في فجوره وحتى إذا تمادى الأبرار في قعودهم عن النهي عن المنكر : اشتد غضب الله ، فإذا غضب : عم وشمل غضبه الفجار بما فجروا وظلموا ، والأبرار بما سكتوا وتقاعسوا .

وقد دلت الآيات والأحاديث على ذلك ، كما في تعقيبات شيخ الإسلام وامام الدعاة تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني على قوله تعالى :

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

قال رحمه الله :

(وقرأ طائفة من السلف :

لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، وكلا القراءتين حق فان الذي يتعدى حدود الله هو الظالم ، وتارك الانكار عليه قد يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه ، وقد يجعل ظالما باعتبار ما ترك من الانكار الواجب . وعلى هذا قوله :

« فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » ، فانجى الله الناهين . وأما اولئك الكارهون للذنب ، الذين قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » . فالأكثرون على أنهم نجوا لأنهم كانوا كارهين ، فانكروا بحسب قدرتهم .

وأما من ترك الانكار مطلقاً فانه ظالم يعذب ، كما قال النبي ﷺ : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » . وهذا الحديث موافق للآية .

والمقصود هنا أنه يصح النفي والاثبات باعتبارين كما ان قوله :

« لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » أي لا تختص بالمعتدين بل يتناول من رأى المنكر فلم يغيره . ومن قرأ : « لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » أدخل في ذلك من ترك الانكار مع قدرته عليه . وقد يراد أنهم يعذبون في الدنيا ، ويبعثون على نياتهم ، كالجيش الذين يغزون البيت ، فيخسف بهم كلهم ، ويحشر المكره على نيته)(١) .

والحقيقة ان أكثر من تكلم في هذه الآيات ذكر أن هؤلاء الذي سكتوا نالهم العذاب بسكوتهم ، وشملهم العقاب ، وللقرطبي في تفسيره تصريح واضح بذلك .

ووصف بعض الأفاضل هذا العقاب بأنه « قانون العقاب الجماعي في سنة الله الكونية » وهو (قانون رهيب مخيف يدفع كل ذي علم وفقه ، وكل ذي حكم وسلطان ، إلى المسارعة والمبادرة ، فورا لتغيير المنكر ، دفعا للعذاب عن الكل)(٢) .

(وهذا اللزوم أشد بالنسبة للحكام ، لأن بأيديهم السلطة والأمر والنهي . وأن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فإذا اصلحوا الأحوال حسب احكام الشرع وازالوا المنكر ، وأقاموا العدل ، وقضوا على أسباب المعصيات : اثابهم الله تعالى حسن ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، ومكّن لهم في الأرض ، وإن هم تقاعسوا عن ذلك انطبق عليهم حكم الله وجرت عليهم سنته ، وخسروا الدنيا والآخرة ، نعوذ بالله من الخذلان)(٣) .

وصاحب القلب الحي يحس بفطرته الايمانية ان الذي يعيشه المسلمون اليوم من نكسات وهزائم وتراجعات انما هو مقدمة ونذير بين يدي ما هو اشد وانكى من عذاب .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٨٢/١٧ .
(٢) (٣) مجلة التربية الاسلامية ، السنة السادسة/٢٦ .

ووعي هذه الحقيقة يلزم من علت همته أن يرفق بنفسه ، ويرحمها ، ويتجنب أن يمسه هذا القانون العقابي الرهيب .

وإنه لحصار شديد هو محاصر فيه الآن .

لا يكفيه ان يفلت من خطط ترويض الاشبال وتحويلها الى ظباء جفولة .

ليس له من طريق نجاة من هذا الحصار الذي يحاصره به هذا القانون الرهيب الا كوة يستطيع ان يفلت منها : كوة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ومنازعة أهل المنكر . وسلوك سبيل الدعوة ، والاهابة بالامة ان تسارع الى الصلاة وتحكيم شرع الله . من قبل ان يجرفهم « قانون التماثل » الذي هو من سنة الله العامة في الكون ، فيهلكوا ، ويصيبهم العذاب ، من بعد ان ارتكبوا مثل العصيان الذي اهلك الله بسببه الغابرين . فان (النظير يأخذ حكم نظيره وإن ما يجري على الشيء يجري على مثله ويستحيل ان يفترق المتساويان في الحكم كما يستحيل ان يتساوى المختلفان في الحكم .

وهذا القانون يسري على الافراد والامم على حد سواء ، وفي احوال الدنيا والآخرة . وعلى هذا دل القرآن الكريم . فمن ذلك .

● ـ أ ـ **قوله مبينا ما جرى لليهود من بني النضير من نكال في الدنيا بسبب كفرهم ونقضهم العهد وكيدهم للرسول ﷺ وللمؤمنين : « هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا اولي الأبصار » . فقوله تعالى : « فاعتبروا يا اولي الأبصار» صريح الدلالة على قانون التماثل ، اذ ان من معناها : تأملوا يا أصحاب العقول السليمة بما وقع لهم ، واحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم اذا فعلتم مثل**

فعلهم ، فان سنة الله واحدة تجري على الجميع ، وان ما يجري على شيء يجري على نظيره . يوضحه ان الاعتبار لا يتأتى مطلقا ولا يكون للأمر به فائدة الا اذا كان المثيل يأخذ حكم مثيله .

● ـ ب ـ قال تعالى : « ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزي القوم المجرمين » . فقول الله تعالى : « كذلك نجزي القوم المجرمين » دليل على أن ما جرى للمجرمين السالفين يجري على المجرمين اللاحقين ، فالنظير يأخذ حكم نظيره ، وان سنة الله واحدة تجري على جميع المجرمين ، والله المستعان .

● ـ جـ ـ قال تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها » . دليل واضح على أن الدمار الذي حل بالكافرين السابقين سيحل بالكافرين اللاحقين ، لأنهم متساوون في وصف الكفر والعناد والتكذيب فيتساويان في العاقبة .

● ـ د ـ قال تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » . فالجزاء يلحق فاعل السوء أيا كان ، دون محاباة ولا تمييز ولا تخلف .

● ـ هـ ـ قول الله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون » . « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » . « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » . فالقرآن شاهد على صحة قانون التماثل بشقيه أي التساوي في الحكم والعاقبة بين المتماثلين ، والتفريق بين المختلفين .

فاذا فهم المسلمون مدلول هذه الآيات القرآنية التي ذكرناها للتدليل على

صحة قانون التماثل وأمثالها من الآيات الاخرى . والتي فيها ذم للأقوام السابقة ، كاليهود وغيرهم ، لتلبسهم بالأفعال القبيحة والأوصاف الذميمة : عرفوا ان الذم كان لهذه المعاني وان الذم يلحقهم لا محالة اذا فعلوا فعلهم ، وان العاقبة السيئة تصيبهم كما اصابتهم فلا يغرهم مجرد انتسابهم للاسلام من دون عمل وانصباغ بمقتضاه)[١] .

وقد جعل اقبال رحمه الله هذا القانون من قواعد الهدى الاسلامي ، وبين في المحاضرة الخامسة من المحاضرات التي القاها بمدينة مدراس الهندية :

(ان الامم والجماعات مأخوذة بأعمالها في هذه الحياة ، ولهذا يكثر القرآن من قصص الماضين ويأمر بالنظر في تجاريب الامم ، غابرها وحاضرها)[٢] .

ان هذه القوانين الرهيبة المفزعة لا يفهمها أكثر الناس ، وليس لهم استعداد للتصديق بها ، انما يفهمها الدعاة الى الله فحسب ، ولا بد لهم من مسارعة الى القيام بواجب النهي عن المنكر ، ليأمنوا من فزع يومئذ .

أيها الأبرار الصالحون .

أمامكم خطر القانون الرباني الرهيب ان تخارستم .

لا يغرنكم زهدكم ولا صلاتكم .

انطقوا بالحق ، وانهوا عن المنكر ، والا ... فهو الهلاك .

---

(١) مجلة التربية ٢٦/٦ .

(٢) كتاب (محمد اقبال) لعبد الوهاب عزام/١٢٠ .

وجوب الدعوة الى الله

انها رهبة تفزع المسلم حقا ، تقذفها تلك التهديدات التي خاطب الله تعالى بها من يصمت ويتخارس ويدع النهي عن المنكر .

ويظل الأخرس قلقا أبدا ، محروما من الطمأنينة والسكينة الايمانية ، فانها حكر خالص لأصحاب اللسان الناطق بالحق ، الذين يبشرون الناس بالجنة ، وبسماحة الاسلام وعدله ، وينذرونهم عذاب جهنم وقانون التماثل في العقاب الرباني ، فيرثون النبي ﷺ في ذلك ، كما وصفه الله تعالى ، حين قال انه أرسله بشيرا ونذيرا ، او بالاصطلاح الآخر : الذين يدعون الى الله . او باصطلاح بعض الفقهاء : الذين يحتسبون ، اي يقومون بمهمة الحسبة ، أي احتساب الأجر عند الله في أداء النصيحة والأمر والنهي .

وقد تعرض ابن تيمية رحمه الله لتعريف الدعوة ، فقال :

(الدعوة الى الله : هي الدعوة الى الايمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما اخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا)(١) .

● الدعوة والدعاة في اللغة والاشتقاق

وكلمة (الدعوة) هذه هي مصطلح اسلامي . وهناك علاقة وثيقة بين مدلول اللفظ في الاصل اللغوي ، وبين استعمال اللفظ كمصطلح اسلامي صرف .

ونجد ان هذا اللفظ لا يحمل الا معنى واحدا ، وهو : ان تميل الشيء اليك بصوت وكلام يكون منك . انظر معجم مقاييس اللغة ٢ / ٢٧٩ .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥ / ١٥٧ .

والامالة هنا مقتصرة على شيئين : الصوت . والكلام . اللذين يخرجان من محدثهما . وحين ذاك لا يكون لهذا اللفظ مدلول آخر . فأنت حين تقرأ قوله تعالى : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » . تفهم ان الله تعالى فضل من دعا اليه بأنه أحسن « قولا » ممن لم يدع اليه .

إن الصلة وثيقة بين مدلول الفعل دعا في اللغة . وبين مدلوله فيما اصطلح عليه القرآن الكريم . فقوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك » يدل على الامالة والترغيب .

والذي يقوم بأمر الدعوة ويحمل عبأها ليبلغها الى الناس هو الذي يطلق عليه الاسلام : « الداعي » او « الداعية » . والداعي اسم فاعل من الفعل دعا يدعو . اما الداعية فهو بناء اسم الفاعل ايضا مع تاء تلحق في آخره لتدل على المبالغة والتكثير .

● الدعوة وظيفة الرسل وأتباعهم

(والرسول ﷺ قام بهذه الدعوة . فانه امر الخلق بكل ما أمر الله به . ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه .

أمر بكل معروف . ونهى عن كل منكر)[١] .

(والواقع ان الدعوة الى الله هي وظيفة رسل الله جميعا . ومن اجلها بعثهم الله تعالى الى الناس . فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن ارسلوا اليهم الى الايمان بالله . وإفراده بالعبادة . على النحو الذي شرعه لهم . قال تعالى عن نوح عليه السلام : « لقد أرسلنا نوحا الى قومه . فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦١/١٥ .

وهكذا جميع رسل الله دعوا الى الله ، الى عبادته وحده والتبرؤ من عبادة سواه . قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » ، فرسل الله هم الدعاة الى الله ، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها الى الناس) (١) .

(وكل ما أحبه الله، ورسوله من واجب ومستحب ، من باطن وظاهر ، فمن الدعوة الى الله : الأمر به . وكل ما أبغضه الله ورسوله ، من باطن وظاهر فمن الدعوة الى الله : النهي عنه . لا تتم الدعوة الى الله الا بالدعوة الى ان يفعل ما احبه الله ، ويترك ما ابغضه الله ، سواء كان من الاقوال او الاعمال الباطنة او الظاهرة) (٢) .

ووردت في القرآن آيات كثيرة توجب الدعوة الى الله ، منها ما تخاطب النبي ﷺ ، فتدخل امته في الخطاب تبعا له ، ومنها ما خاطبت الامة مباشرة .

فمن الآيات التي تخاطب النبي ﷺ قوله تعالى : « وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم » . وقوله تعالى : « وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين » .

(وهذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعا ، لأن الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول امته فيه الا ما استثنى ، وليس من هذا المستثنى امر الله تبارك وتعالى له بالدعوة اليه ، ومعنى ذلك ان الله تعالى أكرم هذه الامة الاسلامية وشرفها ان اشركها مع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة اليه) (٣) .

وأما الآيات التي تخاطب الامة وتوجب عليها أن تأمر وتنهى فكثيرة ، لا تدع عذراً لمتقاعد متخوف ، كقوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » .

---

(١) اصول الدعوة/٢٦٨ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٦٤ .
(٣) اصول الدعوة/٢٦٩ .

قال القرطبي : (فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها : الدعاء الى الاسلام)[١] .

وقال تعالى : « ليسوا سواء ، من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، واولئك من الصالحين » .

قال الغزالي : (فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف اليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٢] .

واذن ، فان الحريص على ايمانه ، الطالب للفردوس وعليين ، يحرص أشد الحرص على ان ينطق بالحق ، معطيا راحته ووقته وماله ، بل روحه ودمه ، ثمنا لما يطلب ، فان الدعوة الى الله واجبة ، لا يعذر منها احد ، الا من كان مستضعفا من عوام الناس ، البسطاء السذج الذين لا يحسنون النطق وتدبير الامور .

● معنى الكفاية
ورد أوهام القاعدين الصامتين

ويتوهم الكثيرون انهم قد اذن لهم بالقعود حين قرر الفقهاء ان الدعوة فرض على الكفاية ، ويختارون انفسهم في الطائفة المتخارسة ، اغترارا بأن الدعوة اذا قام بها البعض سقطت عن الباقين ، وليس الامر كما فهموا ، فان لفظ القيام بها يعني حصول الشيء المأمور به في عالم الواقع وتطبيقه واتعاظ الطائفة المأمورة فعلا ، فاذا بقيت الطائفة المأمورة سادرة في غفلتها ، متبعة لشهوتها ، والغة في عصيانها : بقي جميع المسلمين تحت هذا التكليف ، وعليهم ان يعينوا الدعاة الى

(١) تفسير القرطبي ٤/٤٧ نقلا عن اصول الدعوة .
(٢) احياء علوم الدين٢/٣٠٧ .

الله الذين يأمرون بالمعروف ، ويزيدوا قوتهم ، ويكثروا سوادهم ، الى الدرجة التي يكتسبون فيها الهيبة والتأثير الكافي لامتناع الطائفة العاصية من افراد الامة عن عصيانها ومخالفتها للشريعة . فاذا امتنعت فعلا لزم وجود عدد من الآمرين الدعاة يديمون حالة الامتناع هذه ، ووسع البعض الآخر ان يسكتوا . اما قبل ذلك فلا .

(فالدعوة الى الخير ـ واعلاها : الدعوة الى الله ـ واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته ، لأن هذه الدعوة من صفات المؤمنين ، ولأن الحديث الشريف امر كل مسلم ومسلمة بازالة المنكر حسب استطاعته ، فاذا حصل المقصود بفرد او افراد : لم يطالب الآخرون باعادة المنكر لازالته ، ولا يؤاخذون لأنهم لم يزيلوه . والشأن في المسلم المبادرة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون انتظار الى غيره ، فقد لا يقوم به الغير فيقع في الاثم . والمسلم يدعو الى الله باعتباره مسلما مؤمنا بالله ورسوله ، كما قال تعالى « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة ، انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين » . فلا بد للمسلم ان يدعو الى الله ، ولكن لو قدر انه لم يدع شخصا معينا الى الله أو لم يدع في وقت ، وقام بالدعوة مسلم آخر ، فان الداعي يؤجر دون الأول ، ولكن لو ترك المسلم الدعوة الى الله تركا دائما مستمرا متعمدا فانه لا ينضوي تحت مفهوم قوله تعالى « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » ، لأن اتباع الرسول ﷺ هم الذين يدعون الى الله .

هذا ومن معاني الفرض الكفائي انه متوجه الى المسلمين جميعا بأن يعملوا لتحقيق هذا الفرض ، وعلى القادر فعلا ان يقوم بهذا الفرض مباشرة ، فيكون معنى الآية « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » : أن يقوم المسلمون باعداد هذه « الامة » أي الجماعة المتصدية للدعوة الى الله ، وان يعاونوهم بكل الوسائل ليتحقق المقصود من قيامهم وهو اقامة دين

الله ونشر دعوته ، فان لم يفعل المسلمون ذلك اثم الجميع المتأهل للدعوة وغيره .

ويقال ايضا : ان الدعوة الى الله حتى لو قلنا انها تجب على البعض دون البعض الآخر باعتبار أنها من الفروض الكفائية ، فان الشرط للخروج من عهدة الفرض الكفائي حصول الكفاية بمن يقوم به ، ولما كانت الكفاية غير حاصلة ، فيجب ان يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدرته)[1] .

● معنى اختصاص الدعوة بالعلماء

وتعرض لمن لا فقه له ها هنا شبهات واوهام يظن معها عدم وجوب الدعو ،ى الله .

وأمر هذه الشبهات كأمر أي بدعة ، انما تستند على نص مجمل يمكن صرفه وتأويله الى بعض المعاني الخاصة التي يمكن ان يتحملها النص ، ولكن القواعد العامة للشريعة تأبى هذا المعنى وتدل على خلافه ، او تنقضه نصوص اخرى توجب تفسيراً آخر للنص الأول ، وتكشف المعنى المرجوح فيه .

والغالب في امر البدع ان النصوص التي يستند لها اصحابها في ترويجها هي نصوص واضحة لذي الفهم السليم ، ولكن الهوى يحمل على التمحل والتكلف في صرفها عن معناها الظاهر ، والهوى مسلك نفسي يظهر في صور كثيرة ، وتسببه دوافع كثيرة مختلفة ، وهو في هذا الموطن ، موطن اعتقاد او ادعاء عدم وجوب الدعوة على جميع المسلمين ، انما يسببه في الغالب الخوف، والجبن والحرص على الراحة والأسى على تفويت بعض المنافع الدنيوية التي قد تفوت الداعية بسبب امره ونهيه .

فمن هذه الشبهات : الفهم الخاطىء لقول العلماء إن التكليف بالدعوة

---

(١) اصول الدعوة/٢٧٥ .

مختص بالعلماء ، اذ ان (العلم) شرط ذكره الفقهاء من جملة شروط الآمر الناهي ، كقول الرازي :

(ان هذا التكليف مختص بالعلماء ، لأن الدعوة الى الخير بالعلم بالخير وبالمعروف والمنكر ، فثبت ان هذا التكليف متوجه على العلماء لا على الجهال ، والعلماء بعض الامة)[1] .

ومثل هذا المعنى عند القرطبي والجصاص[2] . فاشتبه الأمر على من اشتبه عليه من ها هنا .

والحقيقة ان هناك شيئا من الالتباس في فهم هذه المسألة بسبب كلمة « العلماء » التي فسر بها هؤلاء كلمة « ولتكن منكم امة » الواردة في الآية باعتبار ان الدعوة الى الخير مشروطة بالعلم .

(ولاشك ان الدعوة الى الخير ، واعلاها : الدعوة الى الله ، مشروط لها العلم ، ولكن العلم ليس شيئا واحدا لا يتجزأ ولا يتبعض ، وانما هو بطبيعته يتجزأ ويتبعض ، فمن علم مسألة وجهل اخرى فهو عالم بالاولى جاهل بالثانية ، ومعنى ذلك انه يعد من جملة العلماء بالمسألة الاولى ، وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة الى ما علم دون ما جهل ، ولا خلاف بين الفقهاء ان من جهل شيئا او جهل حكمه انه لا يدعو اليه ، لأن العلم بصحة ما يدعو اليه الداعي شرط لصحة الدعوة . وعلى هذا فكل مسلم يدعو الى الله بالقدر الذي يعلمه ، ويكون هذا المعنى هو المقصود من قولهم ان الدعوة تجب على العلماء لا على غيرهم ، اي على من يعلم المسألة التي يدعو اليها وحكمها ، سواء كان من عامة المسلمين او ممن نال حظا كبيرا من العلم . وبهذا يظهر فساد قول من قال ان المقصود بالعلماء هم الذين نالوا حظا كبيرا من العلم دون سواهم ، وقد

---

(١) (٢) تفسير الرازي ١٧٧/٧ ، وتفسير القرطبي ١٦٥/٤ ، واحكام القرآن للجصاص ٢٩/٢ ، نقلا عن اصول الدعوة/٢٧٤ .

يسمونهم برجال الدين ، لأن هذه التسمية تصدق على كل مسلم ، فهو من رجال الاسلام ، وليست مقصورة على فئة منهم)[1] .

● لا يتم الاهتداء إلاّ بالأمر والنهي

ومن الشبهات ايضا ، الفهم الخاطىء للآية الكريمة : « لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » ، فيحجم الذي لا فقه له ممن يسمعها عن الامر والنهي ، ويتودد الى الناس .

وهذا الاحجام اعتبره ابن القيم من اعظم مكايد الشيطان ، فيلقي الشيطان في روع البعض (ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد الى الناس وحسن الخلق معهم والعمل بقوله تعالى : عليكم أنفسكم)[2] .

ويحسن في هذا الموضع ان ننقل مقالة مهمة للامام ابن تيمية في رد هذه الشبهة ، أجاد فيها وأحسن ، وأغنى وكفى .

قال رحمه الله :

(قوله تعالى علوا كبيرا : « عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » لا يقتضي ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لانهيا ولا إذنا ، كما في الحديث المشهور في السنن عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه خطب على منبر رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس : انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها في غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه » .

وكذلك في حديث ابي ثعلبة الخشني مرفوعا في تأويلها : « اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، واعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخويصة نفسك » .

---

(١) اصول الدعوة/٢٧٤ .

(٢) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/١٣٠ .

وهذا يفسره حديث ابي سعيد في مسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

فاذا قوي اهل الفجور حتى لا يبقى لهم اصغاء الى البر ، بل يؤذون الناهي ، لغلبة الشح والهوى والعجب : سقط التغيير باللسان في هذه الحال ، وبقي بالقلب .

« والشح » هو شدة الحرص التي توجب البخل والظلم ، وهو منع الخير وكراهته . « والهوى المتبع » في ارادة الشر ومحبته ، « والاعجاب بالرأي » في العقل والعلم . فذكر فساد القوى الثلاث التي هي العلم والحب والبغض ، كما في الحديث الآخر : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » . وبازائها الثلاث المنجيات : « خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الفقر والغنى ، وكلمة الحق في الغضب والرضى » ، وهي التي سألها في الحديث الآخر : « اللهم اني اسألك خشيتك في السر والعلانية ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى ، وأسألك القصد في الفقر والغنى » .

فخشية الله بازاء اتباع الهوى ، فان الخشية تمنع ذلك ، كما قال « واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى » ، والقصد في الفقر والغنى بازاء الشح المطاع ، وكلمة الحق في الغضب والرضى بازاء اعجاب المرء بنفسه . وما ذكره الصديق ظاهر ، فان الله قال : « عليكم انفسكم » ، اي : الزموها واقبلوا عليها ، ومن مصالح النفس فعل ما امرت به من الامر والنهي . وقال : « لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » . وانما يتم الاهتداء اذا أُطيع الله ، وأُدي الواجب من الأمر والنهي وغيرهما)[1] .

ويجب الانتباه الى ان ما اجازه خلال كلامه من السكوت عند قوة أهل الفجور واذاهم للناهي انما يقتصر على العامة من المستضعفين ، واما الدعاة والقادة

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧٩/١٤ .

والعلماء فيأخذون بالعزيمة ، ويصدعون بالحق وان لحقهم الأذى والعذاب والموت ، كما بينه ابن تيمية في كلام آخر له ، وكما بينه غيره ، وكما كانت سيرة الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله في ايام محنة خلق القرآن . ولاحظ بصورة خاصة اهمية قول ابن تيمية « وانما يتم الاهتداء اذا اطيع الله » ...

(وهكذا صحح الخليفة الأول ـ رضوان الله عليه ـ ما ترامى الى وهم بعض الناس في زمانه من هذه الآية الكريمة ، ونحن اليوم احوج الى هذا التصحيح ، لأن القيام بتكاليف التغيير للمنكر قد صارت اشق ، فما ايسر ما يلجأ الضعاف الى تأويل هذه الآية على النحو الذي يعفيهم من تعب الجهاد ومشاقه ، ويريحهم من عنت الجهاد وبلائه !

وكلا والله ، ان هذا الدين لا يقوم الا بجهد وجهاد ، ولا يصلح الا بعمل وكفاح . ولا بد لهذا الدين من اهل يبذلون جهدهم لرد الناس اليه ، ولاخراج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ولتقرير الوهية الله في الأرض ، ولرد المغتصبين لسلطان الله عما اغتصبوه من هذا السلطان ، ولاقامة شريعة الله في حياة الناس ، واقامة الناس عليها .

لابد من جهد ، بالحسنى حين يكون الضالون أفراداً ضالين ، يحتاجون الى الارشاد والانارة ، وبكل وسيلة مشروعة وممكنة ، حين تكون القوة الباغية في طريق الناس هي التي تصدهم عن الهدى ، وتعطل دين الله ان يوجد ، وتعوق شريعة الله ان تقوم .

وبعد ذلك ـ لاقبله ـ تسقط التبعة عن الذين آمنوا)[١] .

---

(١) الظلال ٧/٦١/٥٩ .

● دقة مركز القدوة

ولكن مركز القدوة حساس دقيق جدا . لانه إمام لمن حوله يقلدونه . ولابد أن يكون فعله ابلغ في التعبير عن عقيدته ومعاني دعوته من قوله . لأن المنظر اعظم تأثيرا من القول .

ومن ها هنا . لما هم إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضول ينافي العزيمة قال له امام المدينة يحيى بن سعيد الانصاري : (لا تفعل . فانك امام منظور اليك) .

وقيل :

« من لم تهذبك رؤيته فاعلم انه غير مهذب » .

ومن لم ينعشك عبيره على بعد . فاعلم انه لاطيب فيه . ولاتتكلف لشمه .

وقال الشافعي :

« من وعظ اخاه بفعله كان هاديا » .

وكان عبد الواحد بن زياد يقول :

(ما بلغ الحسن البصري الى ما بلغ الا لكونه اذا امر الناس بشيء يكون اسبقهم اليه . واذا نهاهم عن شيء يكون ابعدهم منه) .

وقال بعضهم :

« للمريد بلقاء كل صادق مزيد . وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال . وقد قيل : من لا ينفعك لحظُهُ لا ينفعك لفظه » .

ثم شرح هذا المعنى اللطيف فقال :

(ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله ، فاذا نظر الصادق الى تصاريفه في مورده ومصدره ، وخلوته وجلوته ، وكلامه وسكوته ، ينتفع بالنظر اليه ، فهو نفع اللحظ ، ومن لا يكون حاله وافعاله هكذا فلفظه ايضا لا ينفع ، لأنه يتكلم بهواه ، ونورانية القول على قدر نورانية القلب ، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها) .

وهذا من جيد الكلام .

ومثله من كلام التابعين قول شهر بن حوشب :

(اذا حدث الرجل القوم فان حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه) .

وقول مالك بن دينار :

(ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا) . اي قطرة الندى عن الصخرة الملساء .

ويروى انه قيل لعيسى عليه السلام :

(من اشد الناس فتنة ؟

قال : زلة العالم ، اذا زل العالم زل بزلته عالم كثير) .

(وان الموعظة ان لم تتأد في اسلوبها الحي كانت بالباطل اشبه ، وانه لا يغير النفس الا النفس التي فيها قوة التحويل والتغيير ، كنفوس الأنبياء ومن كان في طريقة روحهم وان هذه الصناعة انما هي وضع نور البصيرة في الكلام ، لا وضع القياس والحجة ، وان الرجل الزاهد صحيح الزهد انما هو حياة تلبسها الحقيقة تكون به سينا في الحياة والعمل ، لا سينا في القول والتوهم ، فيكون الهامها فيه كحرارة النار في النار ، من واتاها احسها .

ولعمري ، كم من فقيه يقول للناس : هذا حرام ، فلا يزيد الحرام الا ظهورا

وانكشافاً ما دام لا ينطق الا نطق الكتب ، ولا يحسن ان يصل بين النفس والشرع ، وقد خـلا من القوة التي تجعله روحا تتعلق الأرواح بها ، وتضعه بين الناس في موضع يكون به في اعتبارهم كأنه آت من الجنة منذ قريب ، راجع اليها بعد قريب .

والفقيه الذي يتعلق بالمال وشهوات النفس ، ولا يجعل همه الا زيادة الرزق وحظ الدنيا ، هو الفقيه فاسد الصورة في خيال الناس ، يفهمهم اول شيء الا يفهموا عنه)[١] .

وبايجاز : ان (الاسوة وحدها هي علم الحياة)[٢] .

---

(١) (٢) للرافعي في وحي القلم ٢/٢٠١/١١١ .

العَابدُونَ المجَاهدُونَ

ما نقلناه سابقا عن ابن تيمية ، وابن القيم ، والغزالي ، وبعض المعاصرين ، في وجوب الدعوة الى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، معتمدين على طائفة من الآيات والأحاديث ، انما هي نقول تحمل معها من الوضوح ما كان كافيا لرد أوهام المتخارسين الذين ظنوا إن بعض العبارات الفقهية المجملة تعفيهم من هذا الوجوب .

ومع كثرة صيحات المصلحين في هذه السنين واهابتهم بالناس ، وبالمصلين خصوصا ، أن يعملوا ، ويعاونوا الدعاة الآمرين النهاة ، فان الأكثرين لا زال الحزن على واقع المسلمين يستهلكهم يوما من بعد يوم ، ولم يعرفوا طريق العمل ، او عرفوه ومنعهم الخوف والحرص على المال والمصالح الدنيوية ، فانعزلوا في مساجدهم وبيوتهم ، يبكون الاسلام ، ويتركون الأجيال وجماهير الشباب الساذج لمن يربيها من دعاة الالحاد والعلمانية والشيوعية والوجودية ، ولمن يجرها الى الفساد والحياة الشهوانية والزنا والخمر والاسراف في اللهو .

ان هؤلاء المصلين ، وأهل الغيرة والحزن على مصير المسلمين ، يقرأون كتب الفقه التي ننقل عنها ، وكتب الزهد والرقائق ، ولكن كأن خور عزائمهم لا يوقع أبصارهم على ما فيها من صيحات المخلصين على مر الأجيال والقرون ، من لدن عصر الصحابة الى العصور المتأخرة ، وحثهم على العمل للاسلام ، والتبشير به ، ودعوة الخلق ، وتنبيه الجموع الغافلة ، وترك العزلة والتواري ، والتصدي للجهاد والبذل .

انه حزن قاتل ، وتعبد مرجوح ، وعزلة مضيعة ، وبدعة هادمة ، وان تجلل كل ذلك بالاخلاص والنية الصالحة .

● من يقاتل العدو اذا اعتزلتم ؟

وأول فوج ظهر من هؤلاء الواهمين كان في عصر صدر الاسلام ، والصحابة رضي الله عنهم لا زالوا أحياء ، فتصدى لهم الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وعرف ما في العزلة من مضادة للاسلام المتحرك ، اسلام الأمر والنهي والجهاد الذي رباه عليه النبي ﷺ ، فأوضح لهم بدعتهم ، ونهرهم واجتث أوهامهم من عروقها ، وعاد بهم الى الصواب ..

يروي لنا التابعي الكوفي ، الفقيه النبيل عامر الشعبي ، ان رجالا (خرجوا من الكوفة ، ونزلوا قريبا يتعبدون ، فبلغ ذلك عبدالله بن مسعود ، فأتاهم ، ففرحوا بمجيئه اليهم ، فقال لهم :

ما حملكم على ما صنعتم ؟

قالوا : أحببنا ان نخرج من غمار الناس نتعبد .

فقال عبدالله : لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا) .

روى ذلك شيخ المحدثين عبدالله بن المبارك رحمه الله[1] .

ومن ها هنا ، من عبدالله بن مسعود ، اقتبس الوعي الصحيح الداعون الى الاسلام على تعاقب الأجيال .

انها كلمة الحق ، وعنوان الوعي ، وشارة التربية النبوية الكريمة .

سيماهم في كلامهم ، مثلما هي في وجوههم .

من يقاتل العدو اذن لو اعتزل العابدون ؟

---

(١) كتاب الزهد لعبدالله بن المبارك/٣٩٠ .

من يرد كيد الصهيونية والماسونية ، والدعاية الشيوعية الالحادية ، اذا بقي المصلون في مساجدهم .

فلما مات ابن مسعود وأصحابه ، وذهب جيل المجاهدين من التابعين الذين رباهم الصحابة ، عاد البعض الى التخلي عن الجهاد ، والى العزلة ، مرة ثانية ، في النصف الثاني من القرن الثاني .

● ابن المبارك يرث ابن مسعود

ولكن الله سبحانه يهدي عبدالله بن المبارك (ت١٨١هـ) ليجدد حيوية الامة .

كان رحمه الله محدثا ثقة ، وحديثه في الصحيحين والسنن والمسانيد يشهد بذلك وكان فوق ذلك من الفقهاء والنبلاء ، وله مال كثير ينفقه على أهل العلم في جميع عواصم الاسلام ، وله شعر ايماني جيد .

ولم يكتف بذلك بل كان داعية مجاهدا ، يغزو كل سنة بلاد الروم ، ويتخذ له من طرسوس مقرا ، وهي جنوب تركيا الآن ، حتى صار بهذه الصفات المجتمعة رأس المحدثين في جيله ذاك .

تهز ابن المبارك هذه الكلمة التي نقلها في كتابه عن ابن مسعود رضي الله عنه فيتخذ منها نبراسا ، ويقوم بدور ابن مسعود ثانية ، حتى نراه ينكر على رفيقه الزاهد العابد الثقة الفضيل بن عياض رحمه الله (ت١٨٧هـ) اعتزاله ومجاورته في مكة . وتركه الجهاد .

كان الفضيل ثقة . وحديثه في الصحيحين يدل على ذلك ، هو من اشهر العباد الزهاد في تاريخ الاسلام ، واجودهم كلاما ، لكن ابن المبارك لا يرى كل ذلك مكافئا لترك الجهاد وقتال العدو ، فيخشن له الكلام ، حتى يصفه بأنه عابد

لاعب بعبادته ، ويبعث له من طرسوس ، وبعد معركة من معاركه ، قبل ان ينفض غبار المعركة عنه ، ابياتا رائعة جدا تظل حجة لكل داعية من بعده .

انها أبيات أكثر من رائعة ، وأكثر من صادقة ، وأكثر من بليغة .

فافتح قلبك ، وفك قيوده وأساره ، ليطير ويحلق عاليا مع أبيات ابن المبارك ...

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم ، ونحن عبيرنا ... رَهَج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا عن مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... انف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب[1]

قال ابن المبارك هذا لمن انصرف الى العبادة والمجاورة في الحرم المكي ، وكان الفضيل يلقب بعابد الحرمين ، وله شهرة بكثرة البكاء ، ولذلك غمزه بذكر الدموع ، وكأنه كان مثل بعض المصلين ، يتطيبون بدهن الورد وغيره اتباعا سنة النبي ﷺ ، فغمزه بذكر العبير ، في حين كان للنبي ﷺ ولورثته من العلماء المجاهدين عبير غبار المعارك اضافة لعبير الورد والمسك .

فماذا نقول اليوم لمن ينصرف عن الجهاد والدعوة والأمر والنهي لا الى كثرة العبادة بل الى الراحة والترف وجمع الأموال ؟

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/٢٨٧ .

وتتلاحق من بعد ابن المبارك أجيال وأجيال ، وإذا بالهمم تضعف مرة اخرى ، وإذا بالزهاد والعباد يعتزلون في الرباطات ، ويتركون ارشاد الناس ، ويعافون الدعوة فيشيع الاضطراب في المجتمع المسلم مرة اخرى ، فإذا بالقرن السادس الهجري يلد لنا وارثا صادقا من وراث تلك الاقباس الاولى لابن مسعود وابن المبارك ، ينتفض ، ويأبى وعيه الانسياق في تيار بدعة الترهب والاختفاء عن الناس ، فيقف ينادي الامة ، ويدلها على الأمراض التي تتهددها .

انه الشيخ القدوة العارف عبدالقادر الكيلاني رحمه الله ..

كان فقيها ثقة من فقهاء الحنابلة ببغداد . والغالب على الحنابلة في كل عصورهم الزهد والبعد عن كل ما يعارض التجرد للعلم ، وكان شريفا علويا من ذرية الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وإنما انتسب الى مدينة كيلان لسكنى آبائه فيها ، ولابن تيمية ثم لابن القيم مدح له ، وهما اللذان يسميانه بالشيخ القدوة ، كما في أكثر من موضع من مدارج السالكين .

تكلم الشيخ عبدالقادر كثيرا ، وصاح بأهل العراق صيحات بليغة رفيعة المعنى والمبنى .

فاسمع من صيحات الحق هذه قول عبد القادر رحمه الله أن :

(يا من اعتزل بزهده مع جهله : تقدم واسمع ما أقول .

يا زهاد الأرض تقدموا .

خربوا صوامعكم واقربوا مني . قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل .

ما وقعتم بشيء . تقدموا)[١] ..

وكما تتفاضل الأعمال في الميزان الايماني الاسلامي ، فان العمل الصالح الواحد يتفاضل تطبيقه ايضا من شخص الى شخص وظرف الى ظرف ، ووقت الى وقت ، بحيث يندب اليه احد المسلمين دون الآخر ، وفي ظرف دون آخر ، ولكل مسلم عمل من اعمال الخير هو افضل له من الأعمال الاخرى الفاضلة ، وذكر ابن القيم رحمه الله أن (الشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته : وقوفه في الصف ساعة ، وجهاده اعداء الله ، أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع .

والعالم الذي قد عرف السنة ، والحلال والحرام ، وطرق الخير والشر : مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم افضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح) .[٢]

فلا يحتجن احد بأحاديث فضل النوافل والتسبيح ليبرر اعتزاله ، ويترك مهمته الارشادية التي يلزمه اياها علمه الذي تعلمه ، فان مباشرة الدعوة خير من مباشرة النوافل .

ان الفائز عند الكيلاني من اختاره الله .

(وجعله جهبذاً وداعياً للعباد ونذيراً لهم وحُجّة فيهم ، هادياً مهدياً) .

ثم قال : (فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم ، لا منزلة تفوق منزلته إلا النبوة)[٣] .

---

(١) الفتح الرباني للشيخ عبد القادر/٧٣ .
(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، لابن القيم/٩٣ .
(٣) فتوح الغيب للشيخ عبد القادر/٤٩ .

● المؤمن الأخرس متأخر

وكان الشيخ قد عد دونه في المنزلة آخر له (قلب بلا لسان ، وهو مؤمن ستره الله عز وجل عن خلقه ، وأسبل عليه كنفه ، وبصره بغيوب نفسه ، ونور قلبه) .

فلأن هذا المؤمن لم يملك اللسان ، نزلت مرتبته ، وتأخرت ، وفقد ما في القاب الأول من الهيبة والفخامة ، فالاول : (جهبذ) و(داعية) و(حجة) ، وله ما في هذه الكلمات من اشعاع البهاء ، والثاني : (مستور) فحسب ، وبين جرس هذه الكلمة ولفظها وتلك الكلمات والفاظها من البعد مثل ما بين الأرض والسماء .

ان بونا شاسعا ، وطفرة واسعة بين المنزلتين ، منزلة الدعوة ومنزلة الايمان المستور المنعزل ، وسبب البون هو اللسان الناطق بالحق لا غير .

من ملك هذا اللسان فقد بذّ وسبق قافلة السائرين الى الله . كلهم يسير الى الله . ولكن أين من في المقدمة ، ممن في المؤخرة ؟

وكلهم يدخل ان شاء الله الجنة ، ولكن اين من يدخلها في الزمر الاولى ، ممن يدخلها بعد اعوام من الانتظار في ساحة العرض ؟ ولذلك جعل الكيلاني رحمه الله فقه الداعية لواجبه في تغيير الباطل واظهار الحق منحة ربانية لمن يعلم الله صلاح قلوبهم . وصاغ هذا المعنى بأحرف يسيرة ، لكنها ثمينة ، فقال :

(اذا صلح قلب العبد للحق عز وجل ، وتمكن من قربه ، اعطي المملكة والسلطنة في أقطار الأرض ، وسلم اليه نشر الدعوة في الخلق ، والصبر على أذاهم . يسلم اليه تغيير الباطل ، واظهار الحق)[١]

(١) الفتح الرباني للسيخ عبد القادر/١٤٤ .

وكذلك البلاغة تكون حين تقتبس من مشكاة النبوة ، نسباً وعلماً ، فانه كان رحمه الله في الذروة من الشرف ، علوياً صحيح النسب ، كما كان في الذروة من علم الحديث وفقه أقوال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله .

إنه يقول : ان نشر الدعوة توفيق من الله ، يوفق له من يعلم صلاح قلبه ، فهو تشريف ، وليس بتكليف .

● نصل الماضي بالآتي

وإذن ، فإن الإسلام أحوج ما يكون إلى جماعة من الدعاة الذين يدركون جيداً واجبهم في هداية الناس ، ويبصرون موقعهم في موكب الدعوة السائر ، وانهم حلقة تصل الماضي بالآتي ، وينشدون :

نحن في ذي الحياة ركب سفار   يصل اللاحقين بالماضينا
قد هدانا السبيل من سبقونا   وعلينا هداية الآتينا[1]

نعم ، تعبوا رحمهم الله ، حتى أوصلوا عقيدة التوحيد لنا ، وهذبونا ، وانتشلونا من مخاطر متلفة ، وعلينا أن نكون أوفياء لهم ، ننفذ عهدنا ، حين أخذوا علينا أن نعمل مثل الذي عملوا .

غرسوا فأكلنا ، ونغرس فيأكلون .

والغرس يقتضي مخالطة الناس ، ومشافهتهم ، والصدع بالحق .

أما أن يختار الخلوة ، ويترك محاربة الأفكار الأرضية ، والمفاسد الخلقية ، فهو كما وصفه مصطفى صادق الرافعي : (يحسب أنه قد فر من الرذائل الى فضائله ، ولكن فراره من مجاهدة الرذيلة هو في نفسه رذيلة لكل فضائله ، وماذا تكون العفة

(١) لعزام في ديوان المثاني/١٤٩ .

والامانه والصدق والوفاء والبر والاحسان وغيرها اذا كانت فيمن انقطع في صحراء او على رأس جبل ؟ أيزعم أحد ان الصدق فضيلة في انسان ليس حوله الا عشرة أحجار ؟ وايم الله ، ان الخالي من مجاهدة الرذائل جميعا ، هو الخالي من الفضائل جميعا)[١] .

وأي فرق بين المعتزل في رأس جبل ، وبين من يعيش مع الناس اخرس صامتاً ؟

ان مشكلة المسلمين اليوم لا يسببها نقص عددهم ، ومشكلة الدعوة الاسلامية اليوم لا تتمثل في قلة عدد من بقي ثابتاً صامداً .

وشأن الداعية أن يترصد اخيار الرجال في المجتمع ، فيحتك بهم ، ويتعرف عليهم ، ويزورهم ، ويعلمهم طريق ضم الجهود الاسلامية وتنسيقها ، فيجدد بذلك سيرة الامام الداعية المبجل أحمد بن حنبل .

قالوا : كان الامام احمد (اذا بلغه عن شخص صلاح ، او زهد ، او قيام بحق ، او اتباع للأمر : سأل عنه ، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب ان يعرف احواله)[٢] .

لم يكن بالمنعزل المتواري الهارب من الناس .

انه كذلك سبيل خدمة الاسلام ، وكذلك كان سلفنا من دعاة الاسلام .

لا بد من اتصال بالناس .

لا بد لك من مجالس معهم تعلمهم فيها .

لا بد لك من ترك زوجك وأولادك ومجالس الدنيا وهموم التجارة بضع ساعات في كل يوم ، تتوجه فيها الى الله ، داعياً ان يعين بك ضالا فتهديه ، او يعين بك

(١) وحي القلم ٢/٩٧ .

(٢) مناقب الامام احمد لابن الجوزي/٢١٨ .

يائساً جامداً ، يستهلكه الحزن على واقع المسلمين ، وتقيده همومه الدنيوية ، فتحركه .

لقد كان السلف رضي الله عنهم أفرح ما يكونون عند العمل للدعوة وهداية أحد على أيديهم .

كان عبدالقادر الكيلاني يقول :

(سبحان من القى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي) .

● فقه الوزير الداعية

واسمع الى طريف ما فهمه الفقيه المحدث العابد الوزير العباسي الصالح ابن هبيرة الدوري رحمه الله من قوله تعالى : (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وقوله تعالى : (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) إذ يقول :

(تأملت ذكر أقصى المدينة ، فاذا الرجلان جاءا من بعد في الأمر بالمعروف ، ولم يتقاعدا لبعد الطريق)[١] .

ويا له من استخراج بديع مع بساطته .

(فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه . وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتا ، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور ، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره . سعى به الى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون . وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه الى الحق ،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢٦٩/١ .

وفي كفهم عن البغي ، وفي مقاومة اعتدائهم الاثيم الذي يوشكون ان يصبوه على المرسلين .

وظاهر ان الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان ، ولم يكن في عزوة من قومه أو منعة من عشيرته ، ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة الى اقصاها) [١] .

● في سورة العصر كفاية

وسطر واحد في القرآن فيه كفاية وغنى ، وذلك قوله تعالى .

« والعصر ، ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

بل يكفيهم ربعها الذي وصف المتواصي بالحق بالربح . فكل واحد في خسر ، (الا من كمل قوته العلمية بالايمان بالله ، وقوته العملية بالعمل بطاعته ، فهذا كماله في نفسه ، ثم كمل غيره بوصيته له بذلك ، وأمره اياه به ، وبملاك ذلك كله ، وهو الصبر . فكمل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح ، وكمل غيره بتعليمه اياه ذلك ، ووصيته عليه . ولهذا قال الشافعي رحمه الله : لو فكر الناس في سورة العصر لكفتهم)[٢] .

او باحرف اخرى يقولها الأستاذ محمد محمود الصواف ان :

(شرط النجاة من الخسران جعله الله تبارك وتعالى معلقاً بمعرفة الناس للحق ، واذا عرفوه الزموا انفسهم به ، ومكنوه من قلوبهم ، وعاشوا بالحق وللحق ، ولا يعفون من المسؤولية ولا ينجون بأنفسهم اذا عرفوا الحق ولم يبشروا

(١) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٣٣/١ .
(٢) في ظلال القرآن ١٦/٢٣ .

به ويدعوا الناس اليه ويحملوهم حملا على التمسك بالحق واتباع الحق .

فالدعوة الى الحق والتبشير به : فرع الايمان بالحق ومعرفة الحق . ولا يتم الأصل بدون هذا الفرع . الذي هو الدعوة الى الحق . والتبشير به بين الناس . ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح . بعد ان يعرفه ويتبعه . فهو من الخاسرين . لأن أمر الله تبارك وتعالى صريح في هذه الاية . وهو التواصي بالحق . والتواصي يحمل معنى الدعوة الى الحق بكل صراحة وقوة . فاذا عرفت الحق . ورأيت اهل الباطل يزيغون عن الحق . ولم تدعهم الى اتباع الحق . وتوصهم باتباع طريق الحق الذي هو الصراط المستقيم . والنور المبين . فلا شك انك من الخاسرين . لأنك لم تنفذ امر الله . وتتواص بالحق ولانك اخذت الحق لنفسك ولم تحمل عليه غيرك من الزائغين المنحرفين او المخطئين التائهين . والمسلم لا يعيش لنفسه فقط . بل يعيش لنفسه وللناس فاذا اصلح نفسه : وجب عليه اصلاح غيره . والدعوة الى الاصلاح تشمل الناس جميعا . كل على حسب طاقته . وبقدر نطاقه الذي يحيط به والنص في هذه الآية صريح . لا يقبل التأويل) [1] .

● الداعية مجاهد مهاجر

ويقابل ذلك . منح الله تعالى المتواصين بالحق . من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . الذين يقذفون بحجج الله وبيناته على آراء العقول الزائغة . أجر وثواب المجاهدين والمهاجرين . فعدّ الأمر والنهي جهادا . والثبات على الدعوة هجرة .

وقال ابن القيم : (لا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق انما كان بعد الهجرة . فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به »

(١) عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور/٨٧

أي بالقرآن « جهاداً كبيراً » .

فهذه سورة مكية ، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة)

جاهدهم بالقرآن يا أيها النبي ، ﷺ . وجاهدوهم بالقرآن ، يا ورثة وأتباع هذا النبي ﷺ .

أي أن نقف لآراء عقولهم القاصرة بالمرصاد ندمغها بحجج من هذا القرآن ، فإذا باطلهم هو زاهق .

فالدعوة ، والأمر والنهي ، والتواصي ، نوع من الجهاد ، ولذلك يحق للآمر الناهي ان يمني نفسه بثواب المقاتلين ان شاء الله .

● يأمرون بالمعروف في رجال معهم

وهذا المعنى فقهه الصحابة والسلف الصالح وعيا كاملا ، فلم يكتفوا بالدعوة الفردية ، وانما أسسوا الجماعات للدعوة الى الله وعملوا عملا جماعيا .

منهم الصحابي هشام بن حكيم بن حزام القرشي رضي الله عنه .

قال الزهري : (كان يأمر بالمعروف في رجال معه)[1] .

فانظر قول الزهري : في رجال معه .

فهو قد كون جماعة آمرة ، ودلل على أن الأمر بالمعروف لا بد له من عصبة ، ومتى كانت عصبة كانت دعوة .

ثم ما فتىء افاضل العلماء يتخذون لهم جماعة وأصحابا للقيام مجتمعين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما كان أمر عبد الرحيم بن محمد العلثي البغدادي الفقيه المحدث الزاهد . قالوا : (كان شيخا جليلا ، عالما ،

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/٣٧ .

عارفا ، من أجل شيوخ الحديث ، ملتزما بالسنة ، زاهدا ذا فضل وورع ، وأدب وعلم .

وقال البرزالي عنه : محدث بغداد في وقته ، موصوف باتباعه السنة ونصرها ، والذب عنها .

قال الذهبي : ؤله اتباع واصحاب يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[١] .

نعم ، شرط واحد يحدد رأس هذه الجماعة به قبول الانضمام لجماعته ، وهو ان يتحرى الصالح من الرجال ، المؤمن الآكل للحلال ، ليكون في اعانته توفيق من الله ، وأثر ، والا فان كان من المخلطين غير المتحرين لشروط الشرع في معاملاته وسلوكه ومعيشته رفع الله عن عمله البركة .

وهذا هو مذهب الدعاة القدماء .

قال ابن الجوزي :

(قال ابن عقيل : رأينا في زماننا ابا بكر الاقفالي ، في أيام القائم ، اذا نهض لانكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون الا من صنعة ايديهم ، كأبي بكر الخباز ، شيخ صالح أضر ـ اي صار ضريرا ـ من اطلاعه في التنور ، وتبعه جماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء ـ اي هدية من رجال الحكم ـ صوام النهار ، قوام الليل ، ارباب بكاء ، فاذا تبعه مخلط رده وقال : متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش)[٢] .

وكذلك الوعي والفقه الصحيح والتمييز حين يكون .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٣١٦/٢ .

(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزي/١٤٥ .

● ادراك الذات

ان الاسلام بحاجة الى من يعرف طريق العودة الصحيح ، ويفقه اصول العمل الجماعي عن السلف ، فيدق صدره ، ويعلي صوته ليسمعه المسلمون ، ويقول : ها انا ، فيلتفون حوله ، ويميزون صيحته ، ونبرة تكبيره .

نعم ، كانت هناك أصوات مخلصة كثيرة في بقاع الاسلام ، لكنها ما كانت تعرف طريق العمل الصحيح ، ولا الصفاء الاسلامي الكامل ، وتتوهم الطريق مقالات تكتب او مؤتمرات تجتمع فتقرر عودة الاسلام على الورق فحسب ، ولذلك بدت صيحاتهم على ورق الصحف او المنابر او في المؤتمرات كمجموعة نغمات نشاز .

وقد صور اقبال ادراك الامة لذاتها الحقيقية الاسلامية من بعد ذهولها كادراك الطفل لذاته من بعد عجزه ايام طفولته الاولى .

ولأن هذه الامة تولد من دعوة رجل واحد فقيه ذي همة ، كما قال في ديوانه الذي خصصه لبيان الذات : « تولد الامة من قلب جليل » [1] ، فقد تحددت صفة الخطوة الاولى في طريق انتشال الامة من الذهول وارجاعها الى الاسلام .

انها الخطوة الاولى ، عنوانها: ان يبادر قلب جليل فيدق صدره امام جماهير المسلمين ويقول : ها أنذا ، على صفاء عقائدي ، وتجرد سلوكي تلحظونه ، فتجمعوا حولي .

او ، بأحرف اقبال في تصوير هذا البشر النذير حين يستفيق من الذهول :

أرأيت الطفل يا ذا البصر ما له عن نفسه من خبر
ليس تدري اذنه ما النغمة لحنه ثورته والضجة

(١) شطر من ديوان الاسرار والرموز/١٠٨ .

وبعـين الـكون انسانـا يرى كل شيء ما عداه ابصرا
بعـد لأي طرف الخيط بدا بعـد ما حلـت يداه العقدا
فتـراه عينـه مستعلنا فيدق الصـدر ، يعنـي : ها انا
(أنـا) هذي بدء مقصـود الحياه نغمـة اليقظـة في عود الحياه[1]

هذا هو « المجدد » بالاصطلاح الاسلامي

(ولذلك كان ـ ولا يزال ـ الدين الاسلامي في كل عصر في حاجة الى رجال أقوياء يأتون ويسددون خطى الزمان ويوجهون مسيره الى الاسلام ، سواء أكان عملهم في ذلك محيطا شاملا او كان على بعض نواحي الأمر مقتصرا ، وهؤلاء هم الذين يدعون بالمجددين)[2] .

ولأن طريقهم يقتضي البذل ، كان من شروطهم ان يكونوا ابطالا من الشجعان ، اذ ان (الذين لا يقوون على البذل في سبيل المقصد الأعلى ، ولا يشجعون على مقاومة الأخطار والمشكلات والذين لا يطلبون في هذه الدنيا الا الراحة والسهولة والرغد ، وهم يسكبون لذلك في كل قالب ويطاوعون لكل ضغط ، لا تجد لهم فعالا يذكر في التاريخ الانساني ، وانما تشكيل التاريخ يكون من شأن الأبطال وحدهم ، وهم الذين قد غيروا أبدا مجرى الحياة بجهادهم وتضحياتهم ، وبدلوا أفكار العالم)[3] .

وهذا ما اتاح لبلاغة سيد قطب رحمه الله ان تنطق فتصف الطريق الدائم لمسيرة الدعوات .

يدعونا ان نتذكر (كيف وقع هذا الأمر اول مرة ! لقد وقف رجل واحد يواجه

---

(١) ديوان الاسرار والرموز/١٣٣ .
(٢) موجز تاريخ تجديد الدين للمودودي/٢٨ .
(٣) نحن والحضارة الغربية للمودودي/٢٥١ .

البشرية كلها بمنهج الله ويقول لها ـ كما امر ـ : انها في جاهلية ، وان الهدى هدى الله ..

ثم تحول التاريخ .. تحول حين استقرت هذه الحقيقة الهائلة في قلب ذلك الرجل الواحد . تحول على النحو الذي يعرفه الاصدقاء والاعداء !

هذه الحقيقة التي استقرت في قلب ذلك الرجل الواحد ما تزال قائمة قيام السنن الكونية الكبرى .. وهذه البشرية الضالة قائمة كذلك وقد عادت الى جاهليتها !

وهذا هو الأمر في اختصار واجمال ..

توجد نقطة البدء . نقطة استقرار هذه الحقيقة في قلب ..

في عدة قلوب .. في قلوب العصبة المؤمنة .. ثم تمضي القافلة في الطريق .. في الطريق الطويل ..)[1] .

(ان نقطة البدء الآن هي نقطة البدء في أول عهد الناس برسالة الاسلام .. ان يوجد في بقعة من الارض ناس يدينون دين الحق ، فيشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .. ومن ثم يدينون لله وحده بالحاكمية والسلطان والتشريع ، ويطبقون هذا في واقع الحياة .. ثم يحاولون ان ينطلقوا في الأرض بهذا الاعلان العام لتحرير الانسان)[2] .

فاذا بادر مقدام فقال : ها انا ، فان للمسلمين اسوة وقدوة في الحوار الشريف بين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام حين امر الله ابراهيم ببناء الكعبة .

قال ابراهيم عليه السلام :

(١) الاسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب/١٩١ .

(٢) في ظلال القرآن ١٠/١٩١ .

(يا اسماعيل : ان الله امرني بامر .
قال : فاصنع ما امرك ربك .
قال : وتعينني ؟
قال : وأعينك)[1] .

فهذا هو جواب المؤمنين دوما ، بلا تلكؤ ولا تلعثم ، لا تتخلف ، وامض ، وبادر ، وكن وريث اسماعيل . فهنا ، في هذه الاجابة الاسماعيلية رأسمالك الحقيقى .

● التأسيس ... من تحت

ولكن هذه الحقائق ذهل عنها الفرديون وظنوا انه طريق خطب ، وصيحات منابر ، وقرارات ومؤتمرات ، وحاول الداعية الاسلامي الكبير شكيب ارسلان رحمه الله تعليمهم الطريق الصحيح فلم يفلح .

يقول رحمه الله في نص ثمين جدا خلال رسالة أنشأها سنة ١٩٣١ ونشرت مجلة (المسلمون) صورتها ، يخاطب احد ابناء فلسطين :

(تأتيني كتب كثيرة من المغرب وجاوا ومصر وسورية والعرآق ونفس فلسطين بلدكم ، مقترحا اصحابها عقد مؤتمر اسلامي او انتخاب خليفة وما اشبه ذلك . ويكون جوابي دائما : يجب ان نؤسس من تحت . يجب ان نربي الفرد) .

ثم يتابع فيقول :

(اما ان نعقد مؤتمرا مجموعا من ضعفاء ليس لهم ارادة مستقلة وهم لا يقدرون ان ينفذوا قرارا ، فما فائدة ذلك ؟ أتريد ان نجمع اصفارا ؟)

وهذه كلمات تكشف عن قمة الوعي وعن آخر تجارب الدعاة ، ولكن أصحاب شكيب خذلوه وكانوا أقصر همما .

---

(١) صحيح البخاري ١٧٥/٤ .

رَايَةُ الخَيْر

وبعد :

« فقد افتضحت الجاهلية . وبدت سوأتها للناس . واشتد تذمر الناس منها ، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية الى قيادة الاسلام »[1] .

بهذه البساطة عبر سيد قطب رحمه الله عما يرى .

انه يتحدث عن امر عظيم جليل ، وانتقال ضخم ، لكنه من امر الحقائق .

ولهذا حفته البساطة ، وكذلك شأن الحقائق دوما .

فحينما يكون الأمر حقيقة لا يحتاج الى كثير بلاغة ، ولا الى اطناب او بهرج وتزويق .

انها الحقيقة التي يعيشها الغرب . فهذا الخواء الروحي ، والانحدار الجنسي ، والتمييز العنصري ، والظلم الاستعماري ، لم يعد افلاسا مجردا ، بل فضيحة كبيرة للحضارة الغربية .

وهي الحقيقة التي ترهق المجتمعات الشيوعية ، ولو لم يكن فيها الا الارهاب وكبت الحريات لكفتها فضيحة .

---

(١) مقدمة سيد قطب لكتاب الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين/٢٠ .

كما انها الحقيقة التي تشير الى عدل الاسلام . وسماحته . وسكينته التي يهديها الى القلوب التي أتعبها قلق المادة .

ان تأملا قصيرا يرينا بوضوح ان شعوب الامة الاسلامية قد ملت وسئمت ما اقتبسوه لها من مادية الغرب ونظمه . وما فطنوا له فقلدوه من أساليب الارهاب والتجويع الشيوعي . وأصبحت القلوب والعقول على اتم الاستعداد لمسيرة اياب الى الاسلام ثانية .

● ارفع للخير راية

ولا ينقص المسلمين اليوم في كثير من البلاد الا الراية . فانهم كثير عددهم . غزير علمهم . جميل ذكرهم . انما اضعفهم التشتت والضياع .

وقد زار عبد الوهاب عزام رحمه الله معظم بلاد الاسلام . وساح في بلاد العرب وتركيا والهند . ودرس واقع المسلمين عن قرب . فما خرج بغير هذه النتيجة . فعاد ينادي الخيّرين أن :

(لا يخدعنكم الفساد الظاهر والشر المستشري . ولا يهولنكم ذكر فلان وفلان من المفسدين . ففي الامة اخيار اكثر ممن تعدون من الأشرار . ولكنها راية رفعت للشر فأوى اليها اشرارها . وهرع نحوها انصارها . ونفر منها الاخيار فلم ينحازوا اليها . ولم تسمع اصواتهم حولها . ولو رفعت للخير راية لانحاز اليها الاخيار وحفوا بها وسكنت امة الأشرار وقل جمعهم وخفت ذكرهم .

ان في الامم خيرا وشرا . وفسادا وصلاحا ومصلحين ومفسدين . فان رفعت راية للخير انضوى اليها الاخيار في كل طائفة . وغلب بها الخير في الأنفس التي يغلب شرها خيرها . ونبت خير في نفوس لا خير فيها . فان الانسان لا يخلو ـ وان عظم شره واستشرى داؤه ـ من نزعة للحق كامنة . وعاطفة للخير

مستسرة)[1] .

وهذا الكلام من الحق والصواب الظاهر .

● انما تقدسنا الدعوة

وكان اعيان الفقهاء القدماء يميزون مثل هذه المعاني اكثر من المتأخرين ، وأرجعوا العز الذي عرفه صدر الاسلام الى وجود الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فمن ثم قالوا انه (هو القطب الاعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه وعمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا ان يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه)[2] .

قال ذلك الغزالي رحمه الله .

فللذي رآه : فتش عن المخرج ، فلم يجد الا ان يُحلِّيّ الاجر لمن يكون آمراً بالمعروف ، ويحكر له درجات القرب ، ويرفع الابصار الى ذراها ، ويصيح ان ايها الناس :

(من سعى في تلافي هذه الفترة ، وسد هذه الثلمة ، اما متكفلا بعملها ، او متقلدا لتنفيذها ، مجددا لهذه السنة الداثرة ، ناهضا بأعبائها ، ومتشمرا في احيائها : كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى إماتتها ، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها) .

---

(١) النوارد عبد الوهاب عزام/١٧٣ .

(٢) احياء علوم الدين ٣٠٦/٢ .

● هو شأن الرجال

فكذلك هو الأمر .

الاسلام هو الاسلام ، لا زال مستعدا ان ينهي شقاء البشر ، ولكن تبليغ هذا الاسلام والقيام به ، هو الذي ضعف ولذلك (كان بعض السلف الصالح يقول : يا له من دين لو ان له رجالا)[1]

الرجال الذين هم بمستوى هذا الاسلام في شموله .

وهذا الواحد المتأسف انما كان في عصر السلف ، اي انه كان يرى امامه جحافل فقهاء الفروع ، وجحافل الزهاد ، لكنهم لم يكونوا ليملأوا نظره .

كان يريد آخرين ، الفقه والزهد من صفاتهم ، لكن يذهبون الى مرحلة أبعد ، يريدهم دعاة ، همهم هداية الخلق ، وإنفاذ حكم الله ، ولذلك لما قيل لأحد فحول الرجال : (لنا حُويجة) ، تصغير حاجة ، اي جئناك تقضيها لنا ، ابى وقال : (اطلبوا لها رُجيلا) .

فالرُجيل تشبع نفسه بعمل اليسير .

أما هو فهمته عالية ، فقد رصد نفسه لضخام الأعمال ، ويأنف من صغارها .

● الميثاق

وما كان جيل من أجيال المؤمنين القدماء الذين احاطوا بالانبياء القدماء يفهم ايمانه على انه تصديق قلب مجرد ، انما فهموه اعانة ومساعدة باليد والمال ، ونصر

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٣٠٢

بضم قوة المؤمن الى قوة جماعة المؤمنين في معاركها وصراعها مع الكافرين ، وكان ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وكل النبيين عليهم السلام يأخذون البيعة ممن يؤمن بهم على أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصرونه في صراعه مع الكفر اذا بعث نبيا وهم احياء يرزقون ، كما اخبر الله تعالى عن ذلك في قوله : « واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا : أقررنا . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

(قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به وينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه)[1] .

واذن ، فالبيعة علينا نحن الآن من ورثة محمد ﷺ أوجب وأظهر الزاماً واولوية .

واعتماداً على هذا الميثاق القديم فهم ابن تيمية (ان الصادقين في دعوى الايمان هم : المؤمنون الذين لم يعقب ايمانهم ريبة ، وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم ، وذلك ان هذا هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين)[2]

● لا مناص ولا لافكاك من تأييد الدعاة

ومن لم تسعفه ظروفه او كفاءته او مقدار علمه في ان يكون داخل الصف المجاهد فانه لا يعذر بالقعود ، بل عليه ان يعين من يأمر وينهى ويجاهد ، ويكون مؤيدا مساندا .

---

(١) (٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/١٢ .

وبذلك قال الفقيه الامام الشاطبي . فانه يتصدى لشرح معنى قول الفقهاء : ان فروض الكفاية ان قام بها البعض سقط الاثم عن الباقين . وخصص وسمى من فروض الكفاية : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وطلب العلم . والولاية والامامة ، اي الخلافة وطلبها وسياسة الناس بالشرع . وبين رحمه الله انها وان سقط وجوبها عن غير القادر عليها ، فانه مطالب بالتفتيش عن القادر وحثه واعانته على القيام بها ، بل اجباره على القيام بها . وساق امر الولاية كمثل ينسحب ليشمل ما نص عليه هو من العلم والأمر والنهي . وعلى ما لم ينص عليه مما يوصف عند الفقهاء انه من فروض الكفاية .

(لكن قد يصح ان يقال : انه ـ اي فرض الكفاية ـ واجب على الجميع على وجه من التجوز ، لأن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة ، فهم مطلوبون بسدها على الجملة ، فبعضهم هو قادر عليها مباشرة وذلك من كان اهلا لها ، والباقون وان لم يقدروا عليها قادرون على اقامة القادرين ، فمن كان قادرا على الولاية فهو مطلوب باقامتها ، ومن لا يقدر عليها مطلوب بأمر آخر ، وهو اقامة ذلك القادر واجباره على القيام بها ، فالقادر اذن مطلوب باقامة الفرض ، وغير القادر مطلوب بتقديم ذلك القادر ، اذ لا يتوصل الى قيامه الا بالاقامة ، من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب)[1] .

● انس الطريق

وانها لمسيرة طويلة ، لكن يسلي اثناءها حداء الحادين .

وانها لمهمة صعبة ، لكن تهونها وتبدد تعبها بلاغة الصادقين حين ينادون ..

قم نعــد عدل الهــداة الراشدين   قم نصــل مجــد الابــاة الفاتحين

(١) الموافقات للشاطبي ١/١١٤ .

قم نفك التيد قد ان الاوان
شقي الناس بدنيا دون دين

فلنعدها ا رحمة للعالمين
لا تقل : كيف ؟ فانا مسلمون

يا أخا الاسلام في كل مكان
اصعد الربوة واهتف بالاذان

وارفع المصحف دستور الزمان
واملأ الآفاق : انا مسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون
حيث كان الحق والعدل نكون

نرتضي الموت ونأبى ان نهون
في سبيل الله ما أحلى المنون[1]

فان قعد لعذر او شبه عذر . فانه مطالب بالأسف وازدراء نفسه على الأقل . الا يكون مع القوم العاملين . كما قيل للزاهد الثقة بشر بن الحارث الحافي يوم تعذيب أحمد :

(قد ضرب أحمد بن حنبل الى الساعة سبعة عشر سوطا . فمد بشر رجله ، وجعل ينظر الى ساقيه و يقول :

ما اقبح هذا الساق ان لا يكون القيد فيه نصرة لهذا الرجل) .

مع انه شهر واذاع حبه لأحمد . لكن الخليفة تركه لشهرته بالزهد وحب العامة له . وخاف ان يوسع دائرة النقمة عليه .

فالمؤمن الصادق ان عذر نفسه وافتاها بالتخلف ، لنوع ضرورة او ضعف يدريه من نفسه او شبهة . عرف ما يوجبه ذلك من التواضع وترك التطاول على الدعاة . ويظل يتهم نفسه في اجتهاده .

(١) ليوسف القرضاوي .

خاتمة

اسْتِعْلاءُ الْإِيمَانِ فِي قَرْنٍ جَدِيدٍ

وبعد ... ايها الشاب المسلم :

فقد قيل : إن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، أولاهما بها من حقّقها بعمله . فحقّق هذه الحكم بعملك : تكن اولى بها ، وأجدر أن تنسب اليك .

ابدأ بإصلاح نفسك : يصلح الذين معك من اصحابك واولادك فانها وصية الامام الشافعي ، أرشد بها مؤدب أولاد هارون الرشيد ، فقال :

(ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين : إصلاحك نفسك . فإن أعيُنَهم معقودة بيدك . فالحسن عندهم ما تستحسنه ، والقبيح عندهم ما تركته) .

فانظر الى قوله : القبيح عندهم ما تركته !

لم يقل له : القبيح عندهم ما قلت لهم إنه قبيح ، بل ما لم تعمل به ولم تقربه .

وقد سئل الامام أحمد عن الرجل يكثر من كتابة الحديث وطلبه . أيسوغ له ذلك ؟

فقال :

(ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب) .

وهذه الصفحات زيادة في العلم ، سوّغت لنفسك حيازتها ، فوجبت عليك زكاتها ، على مذهب الامام احمد .

فامض قُدُماً ، واقتحم ....

أنـــت نشءٌ ، وكلامـــي شُعلٌ   عَلَّ شدوي مضرم فيك حريقا
ليس في قلبـــي إلاّ أن أرى   قطـــرة فيك غدت بحـــراً عميقا
لا عَرى الـــروح هدوءٌ ، ولتكن   بحياة الـــكدّ والـــكدح خليقا

وما ارتفع صوت الحادي يوماً ما لرفقة اولي صَمَم ، والا ارتفع الفلك الأعلى لغير أهل الشموخ ...

● المؤمن أُمّة

واول ثمرات العزة الايمانية التي يحسها المؤمن : ادراكه ما في الاسلام من قوة الحقيقة التي يكفي لكي تعلن عن نفسها ان تتمثل في فرد واحد ، وما في الآراء الجاهلية المخالفة من زيف الباطل ، واحتياجها الى سواد كثير وعدد كبير من الأفراد ، يأسر منظرهم كل ساذج ، فيغتر ، وينطلي زيف الباطل عليه ، دون ان يدرك ما هم فيه من الضلال .

ومن ها هنا رأينا تمثل الامة الاسلامية اكثر من مرة بمؤمن واحد فقط ، كما قال الله تعالى :

« ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا » قال ابن تيمية : (اي كان مؤمنا وحده ، وكان الناس كفاراً جميعهم)(١) .

وفي صحيح البخاري انه قال لزوجه سارة : (يا سارة : ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك)(٢) .

ثم كما تمثلت حينا بمحمد ﷺ وحده .

ومن ها هنا ايضا انسد باب شعور المؤمن بالغربة ، فهو ـ لأنه يمثل الايمان والحقيقة ـ يشعر بأن الناس جميعا وهم في ضلالهم هم الغرباء التائهون .

ولذلك ، فانه لما توهم واهم فوصف عبد الوهاب عزام بالغربة ، كان جوابه سريعا ، فقال :

قال لي صاحب : أراك غريبا ... بين هذا الأنام دون خليل
قلت : كلا ، بل الأنام غريب ... انا في عالمي ، وهذي سبيلي(٣)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٣٦/١١ .
(٢) صحيح البخاري ١٧١/٤ .
(٣) ديوان المثاني/٣٤ .

اما غربة الغرباء الذين ذكروا في الحديث الشريف : (طوبى للغرباء) فهي غربة بالنسبة للواقع ، اي لندرتهم وقلتهم بين غثاء ضال . اما في عالم الضمير والشعور فان للمؤمن الفرد من ايمانه انيسا ورفيقا وخليلا يبعد الغربة .

● ليس علينا غير البلاغ

هذا التباين في شعور الداعية الى الايمان ، عن شعور الداعية الى الباطل ،، جعل دعاة الباطل في تعب دوما ، وفي تبديل لصور باطلهم حين لا تنطلي على الناس ، ويبررون ذلك بالتطور الفكري والديالكتيك ، ويرون ـ بعقلية تجارية بحتة تضع حساب الأرباح والخسائر المادية فحسب ـ ان من يتكلم ويكتب لاشاعة فكرة معينة ولا يستجيب له الناس عليه ان يسارع الى تبديلها باخرى تجد لها تصريفا . اما الداعية المسلم فهو يعتقد بأن عليه تحري القول الصائب الموافق للشرع ، واتباع الاسلوب الملائم حسب اجتهاده ، ثم الله هو الذى يتولى ما بعد ذلك ، فان لم يستجب احد فلحكمة ربانية ، ولو شاء الله لهداهم .

وبهذا الوعي لهذه الحقيقة الايمانية اجاب يوسف القرضاوي من اعترض عليه ، فقال :

عجبت لهم قالوا : تماديت في المنى ... وفي المثل العليا وفي المرتقى الصعبِ
فاقصر ولا تجهد يراعك انما ... ستبذر حبا في ثرى ليس بالخصبِ
فقلت لهم:مهلا، فماليأس شيمتي ... سأبذر حبي. والثمار من الرب
اذا انا ابلغت الرسالة جاهدا ... ولم اجد السمع المجيب فما ذنبي ؟[1]

وهذا من قوانين الدعوة الاسلامية .

اننا اذا لم نصل الى ما نبغي ونريد ، فحسب عملنا ان يشجع الجيل اللاحق على مواصلة السير ، فان النجاح في الابتداء دليل على امكان الانتهاء ، او كما

(١) مجلة (المباحث المصرية) عدد ٣١ لسنة ١٩٥١ .

يقول الرافعي :

(البدء في تحقيق الشيء العسير : حسبه ان يثبت معنى الامكان فيه) [1]

● نريد ان نكون أئمة

وانما ذاك ما يقتضيه الايمان .

والا فان في الفطرة ميلا الى كثرة الانيس ، والعين تحب ان تقر بتسلط الايمان على الكفر ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وهذا ما يجعل الداعية حريصا كل الحرص على نقل مزيد من الشباب من التيه الى الطريق المستقيم ، ويكون من احب ادعية القرآن لديه ان يقول :

(واجعلنا للمتقين اماما)

وما دعاؤه هذا من التزعم وحب الظهور بحيث يكون مكروها ، بل كما قال ابن القيم :

(هو يحب الامامة في الدين ، بل يسأل ربه ان يجعله للمتقين اماما ، يقتدي به المتقون ، كما اقتدى هو بالمتقين . فاذا احب هذا العبد الداعي الى الله ان يكون في اعينهم جليلا ، وفي قلوبهم مهيباً ، واليهم حبيباً ، وان يكون فيهم مطاعاً لكي يأتموا به ويقتفوا أثر الرسول على يده : لم يضره ذلك ، بل يحمد عليه ؛ لأنه داع الى الله يحب ان يطاع ويعبد ويوحد ، فهو يحب ما يكون عونا على ذلك موصلا اليه ، ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه واثنى عليهم في تنزيله واحسن جزاءهم يوم لقائه ، فذكرهم بأحسن اعمالهم واوصافهم ثم قال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما » ، فسألوه ان يقر اعينهم بطاعة ازواجهم وذرياتهم له سبحانه ، وان يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته . فان الامام والمؤتم

---

(١) وحي القلم ٢١/١ .

متعاونان على الطاعة فانما سألوه ما يعينون به المتقين على مرضاته وطاعته ، وهو دعوتهم الى الله بالامامة في الدين).[٣]

● دور التربية التكميلية

والداعية الحر . المتفاعل مع التصورات والحاجات اليومية الاسلامية ، يرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقفاً امامه في كل لحظة . وهو يدعو دعاءه المشهور :

(اللهم اني اعوذ بك من جلد الفاجر ، وعجز الثقة) .

فترتعش عضلاته رهبة ، ويهفو قلبه رغبة ، ويسارع ليتخذ من الامكانيات التربوية ما يرضي به ظن أبي حفص الفاروق ، فيعكف على توعية الامين العاجز الساذج ، وترقيق قلب ذي الجلادة المتحرك الشغول المتهاون بأمر بعض الأعمال الإيمانية ، ليزداد ـ بهذا السد للنقص ـ عدد الثقات الذين يجمعون بين الوعي والجلادة .

وهذا العنصر القوي الأمين هو خير من ينهض بأعباء الاسلام ، ولا بد من تكميل صفة الجهاد في المؤمن ، وتعميق ايمان المجاهد ، كما قال الله تعالى :

« والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا فاولئك منكم » .

قال ابن تيمية :

(عقد الله سبحانه الموالاة بين المهاجرين والأنصار ، وبين من آمن من بعدهم وهاجر الى يوم القيامة . والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باقٍ الى يوم القيامة .

فكل شخص يمكن ان يقوم به هذان الوصفان ، إذ كان كثير من النفوس اللينة يميل الى هجر السيئات دون الجهاد . والنفوس القوية : قد تميل الى الجهاد دون هجر السيئات .

---

(٣) الروح ، لابن القيم/٢٥٢ .

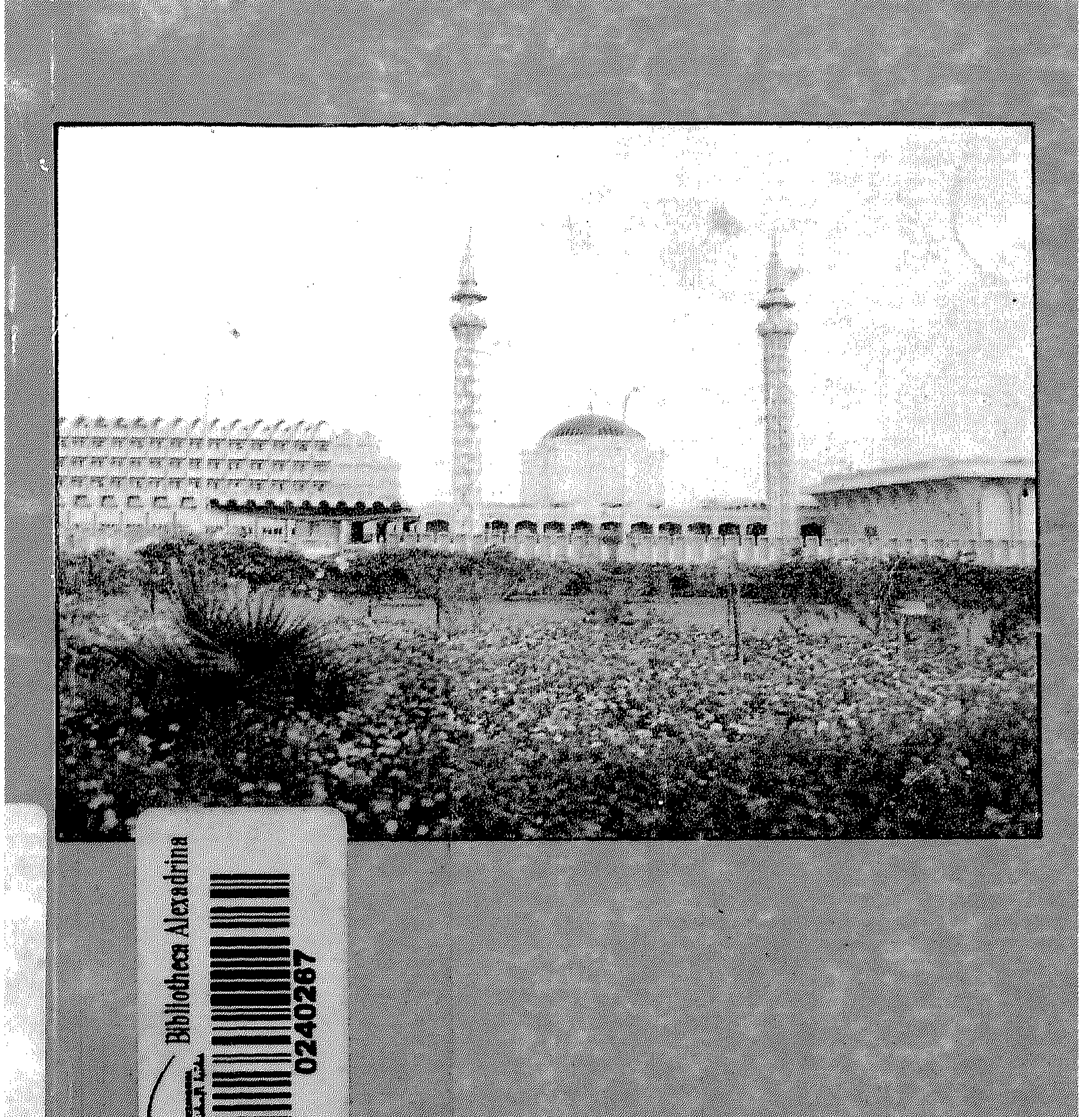
وانما عقد الله الموالاة لمن جمع بين الوصفين ، وهم امة محمد ﷺ ، الذين آمنوا به إيماناً صادقاً)[1] .

وتمكين كل مسلم من الجمع بين الوصفين ، وتمكين القضية الاسلامية من استثمار حسنات الطائفتين ، مهمتان اساسيتان للتربية الاسلامية ، والنشاط الواعي المستنير بأقباس العلوم الشرعية ، ولم الشمل في وحدة تلغي الفردية : مهمتان اساسيتان من بعد لشباب الاسلام في القرن الخامس عشر .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم . لابن تيمية/٤٩ .

الفهـــــــرس



مطبعة العين الحديثة